الفصل السادس
الأحداث الأخيرة في حياة الملكة إليانور حتى وفاتها عام 1204م

- دور الملكة إليانور في تتويج إبنها ريتشارد على عرش المملكة
- نجاح الملكة إليانور في التصدي لمحاولات حنا لاغتصاب العرش
- عودة الملك ريتشارد إلى انجلترا
- وفاة الملك ريتشارد وتولي أخيه الإيرل حنا عرش المملكة
- تحالف الملك فيليب أغسطس والدوق آرثر ضد الملك حنا وتصدي

إليانور لهما

- وفاة الملكة إليانور عام 1204م

الفصل السادس
الأحداث الأخيرة في حياة الملكة إليانور
حتى وفاتها عام 1204م

وصل المارشال وليام في منتصف شهر يوليو عام 1189م إلى وينشستر لإطلاق سراح إليانور والتي ظلت سجينة بأمر زوجها لمدة ستة عشر عاما، ولكن عند وصول المارشال وليام وجد إليانور حرة طليقة فلم يتجرأ أحد على سجنها لحظة واحدة بعد وفاة زوجها.

اندهش المارشال وليام عند مقابلته الملكة إليانور التي استقبلته ورحبت به بكل لطف واحترام مما ذكره بمحاكم الحب التي أقامتها في الماضي وبرغم أن السنوات التي كان يجب أن تشعر فيها إليانور بالسعادة قد سرقت منها خلال سجنها إلا أنها استطاعت الاحتفاظ نوعا ما برشاقتها وجمالها[1].

دور الملكة إليانور في تولية ابنها ريتشارد حكم المملكة :

حمل المارشال وليام رسالة من ريتشارد منح فيها والدته الإدارة الكاملة للمملكة حتى ينتهي ريتشارد من شئونه في نورمنديا وبعدها يلحق ريتشارد بها في إنجلترا[2].

قامت إليانور بالخطوات الأولى في الوصاية على العرش، فبعد وصول المارشال جمعت عائلتها وعادت إلى لندن حيث دعت إلى اجتماع في ويست منستر دعت إليه البارونات وأساقفة المملكة لقسم الولاء والتبعية للملك الجديد وطوال الوقت شعرت إليانور أن ما تفعله ليس كافيا لضمان حب الإنجليز لإبنها ريتشارد وولائهم له، فرغم ولادته في اكسفورد إلا أنه لم يسبق له أن اعتبرها مسقط رأسه فمنذ طفولته كان يقوم بزيارات قصيرة إلى الجزيرة الإنجليزية كما أنه لم يتحدث الإنجليزية هذا في الوقت الذي اعتبر فيه ريتشارد أكوتين موطنه ومنذ الطفولة كان لإليانور دور فعال في توجيه عيون وريثها بعيدا عن انجلترا التي كانت من نصيب إبنها الأكبر هنري، لكن بعد وفاته وفي ظل الظروف الجديدة رأت إليانور ضرورة معالجة الأمور بأسرع ما يمكن[3].

ورغم شعورها أن الوقت قد مضى حتى تغرس في نفس إبنها حبه للمملكة إلا أنها بذلت أقصى جهدها حتى تجعل الإنجليز يتقبلون ريتشارد كملك لهم عن طيب خاطر وينسون صورته السيئة كإبن عاص رفع السلاح في وجه أبيه وتسبب في وفاته لذلك قامت إليانور بجولة شاملة في إنجلترا ومعها حاشيتها وجابوا البلاد من مدينة وقلعة لأخرى، كما أرسلت رسلا إلى كل مقاطعة في إنجلترا تأمر بإطلاق سراح الأسرى وأصدرت عفوا كاملا عن جميع المسجونين الذين خرجوا على قانون الملك هنري الثاني ومستشاريه. وكان الشرط الأساسي للإفراج عنهم هو تقديم الولاء لملكهم

---

(1) Meade, Eleanor, P. 300. Alison, Eleanor, P. 248.

(2) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص338.
Dismond, Eleanor, P. 151. Alison, Eleanor, P. 248. Meade, Eleanor, P. 300.

(3) Meade, Eleanor, P. 300 – 301. Alison, Eleanor, P. 249. Owen, Eleanor, P. 249.Dismond, Eleanor, P. 153.

الجديد وتدعيم الحكومة الجديدة وخلال أيام عجت إنجلترا بالسجناء المتحررين الذين هللوا ثناء على الملك ريتشارد[1].

وقد علق المؤرخ وليام نيوبيره على ذلك قائلا "في ذلك الوقت كانت السجون مكتظة بالمجرمين الذين كانوا ينتظرون المحاكمة أو العقاب لكن رحمة ريتشارد أخرجت هذه الحشرات من السجون، ومن الممكن أن يكونوا مستقبلا أشد إجراما"[2].

لكن سخاء إليانور امتد إلى أبعد من ذلك فقد كان من عادة هنري وضع خيوله في الأديرة لتكون رهن إشارته في أي وقت وكان الرهبان يتحملون الإنفاق عليها، لكن إليانور قامت بإعفائهم من هذا الالتزام بعد وفاته.

كذلك خططت إليانور لإصدار عملة جديدة لها قيمتها في التداول في جميع الأراضي الإنجليزية، وكذلك توحيد الموزين والمكاييل[3].

وقد ذكر روجر من ويندوفر فقال "أنها رتبت الأمور في المملكة طبقا لرغباتها، وصدرت الأوامر للنبلاء بطاعة أوامرها".

وأضاف أيضا قائلا بأن إليانور قد حققت نبوءة العرافة ميرلين وهي "نسر العهد المنقوض سيبتهج في عشه الثالث"[4].

وهكذا استطاعت إليانور في فترة وجيزة أن تهيئ الرأي العام والبلاد جميعها لقبول الملك الجديد الذي وصل إلى انجلترا في الثالث عشر من أغسطس 1189م وفعلا نجحت خطتها حيث استقبلوه بحفاوة متناسين سلوكه القديم وتسببه في وفاة والده. لم تهمل إليانور خلال رحلاتها في أنحاء المملكة الاستعداد لتتويج ريتشارد فقد صممت على أن يكون حفل تتويجه ملكا على إنجلترا مناسبة لا ينساها الإنجليز طوال الزمان وبناء على نصيحتها لم يتم تتويج ريتشارد فور وصوله مباشرة لأنها رأت عدم جدوى التسرع لأنها هيأت له الجو بحلفاء جدد، كما أنه لا ينافسه أحد على العرش مثل غيره من ملوك النورمان[5].

أثناء ذلك كان ريتشارد قد قام بإقرار السلام والأمن في دوقيتي أكوتين وبواتييه وأنجو ومين وتورين ومن هناك رحل إلى دوقية نورمنديا حيث توج دوقا لها في 28 يوليو 1189م على يد رئيس أساقفة روين في حضور رئيس أساقفة كانتربري، بعدها اتجه إلى مدينة سيز حيث التقى برؤساء الأساقفة وطلب منهم العفو والغفران لاقترافه جريمة حمل السلاح ضد والده، ومن نورمنديا عبر إلى انجلترا حيث استقبل هناك استقبالا حافلا وكانت والدته الملكة إليانور في انتظاره، حيث تم تتويجه ملكا على إنجلترا يوم الأحد الثالث من سبتمبر سنة 1189م في كنيسة ويست منستر، وأمام مذبح الكنيسة أقسم ريتشارد بأنه سيحافظ على السلام طوال حياته، وسيعمل على علو شأن الكنيسة المقدسة وإقامة العدل بين الناس، وأن يستبدل كل عاداته السيئة بعادات حسنة في المملكة، وفي تلك اللحظة قام بلدوين

(1) Roger of Hovedon, annals, Vol 2, P. 112.
Meade, Eleanor, P. 301, Dismond, Eleanor, P. 152.
(2) Historia, Vol 1, P. 293.
Dismond, Eleanor, P. 152. Alison, Eleanor, P. 249.
(3) Meade, Eleanor, P. 302, Owen, Eleanor, P. 80.
(4) أزاهير التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج39، ص338.
Meade, Eleanor, P. 302. Owen, Eleanor, P. 80.
(5) Meade, Eleanor, P. 302. Alison, Eleanor, P. 250. Owen, Eleanor, P. 81. Dismond, Eleanor, P. 152.

Baldwin رئيس أساقفة كانتربري بوضع التاج على رأسه وباركه ببعض الماء المقدس كما توسل إليه رئيس الأساقفة بأن يسرع بالخروج بالحملة الصليبية مما دفع الملك ريتشارد إلى الإعلان على تأكيد نيته على البر بقسمه للذهاب إلى الأراضي المقدسة.

استمرت الاحتفالات في انجلترا ثلاثة أيام بعد التتويج وأقيمت المآدب الرسمية واستمتع الضيوف بشكل كبير[1].

وبالرغم من أن إليانور بذلت قصارى جهدها حتى يبدأ إبنها حكمه لانجلترا بصورة طيبة إلا أنها لم تستطع أن تنكر حقيقة أنه كان ينظر إلى إنجلترا على أنها مجرد كنز يستطيع من خلاله الإنفاق على حملته إلى الشرق[2].

رأت إليانور أن ريتشارد قد ألزم نفسه القيام بحملة عسكرية تتطلب أموالا طائلة وفي نفس الوقت كانت خزانة المملكة في وينشستر فارغة تماما لحظة وصول ريتشارد إلى انجلترا كما أن الضريبة التي فرضها الملك هنري قبل وفاته على أتباعه للإنفاق على الحملة الصليبية جعلت الإنجليز في حالة ضيق وفقر مما منع الملك ريتشارد من انتزاع أي ضريبة منهم وربما الذي أصاب إليانور بالدهشة هو ابتكار ريتشارد لطريقة جديدة لجمع الأموال اللازمة للحملة فبعد مرور يومين على تتويجه ملكا عرض ريتشارد كل شئ يمتلكه للبيع من قلاع وأراضي وضياع وإقطاعات ومكاتب، كما أنه أتاح للمدن الحصول على حريات أكثر مقابل دفع بعض الأموال كذلك وافق على منح الأديرة العديد من الامتيازات مقابل أيضا دفعهم الأموال مقابل ذلك[3].

لقد حاول ريتشارد توفير المال اللازم بأي طريقة حتى أنه قال ساخرا "أنا مستعد لبيع لندن نفسها إذا وجدت مشتري". وعندما جمع ريتشارد المال اللازم للحملة غادر المملكة بينما ظلت إليانور بها وهي في حالة عدم الارتياح فالشعبية التي نجحت في تكوينها لريتشارد بدأت تتلاشى خاصة بعد خوف وفزع الكثير من المواطنين الذين أخذوا ينظرون بموضوعية إلى أعمال الملك خلال الأربعة شهور الأولى من حكمه، واتضح لهم أنه سيكون على عكس ما توقعوه أكثر تحررا من والده، لأنه ضاعف الضرائب عليهم كما قام بطرد المسئولين والموظفين من مناصبهم ومنحها لمن استطاع دفع الأموال.

لم تستطع جهود إليانور أن تعالج ما فعله الملك الجديد ولا أن تبطل الإشاعات المنتشرة عن عدم عودة ريتشارد إلى انجلترا مرة أخرى[4] فقد قيل إنه خطط لتسليم المملكة إلى أخيه حنا والعودة

---

(1) Roger of Hovedon, Annalls, Vol, 2, PP. 112 – 113. Meade, Eleanor, P. 302. Dismond, Eleanor, P. 152. Alison, Eleanor, P. 250.

(2) عن حملة ريتشارد الصليبية انظر:

1) Richard of Devizes, Crusade of Richard Coeur de lion, in Chronicles of the crusades, London, 1908.
2) Geoffrey of Vinsauf, crusade of Richard Coeur de lion in chronicles of the crusades, London, 1908.
3)Ambrois, The crusade of Richard lion Heart, trans. by Hubert, New York, 1943.
4) Chronicle of the third crusade, Atranslation of tinerarium peregrinum et Gesta Regis Ricardi, Trans. By Helen Nicholson, London, 1997 .
5) Brundage, Richard Lion Heart, New York, 1974.
Gillingham, The life and times of Richard 1, London, 1973.

(3) Meade , Eleanor, P. 303. Dismond, Eleanor, P. 155. Alison, Eleanor, P. 254.
(4) Meade, Eleanor, P. 304, Alison, Eleanor, PP. 254 – 255.

إلى أكوتين كما قيل بأنه سوف يعتلي عرش مملكة بيت المقدس الصليبية[1]. إن ترتيبات ريتشارد لإدارة شئون إنجلترا أثناء غيابه أثار شكوك الكثيرين، وحتى إليانور نفسها اعترفت أخيرا بأن ريتشارد ورث قليلا من فطنتها السياسية ولم يرث شيئا من موهبة والده في فهم شخصيات الناس[2].

قام ريتشارد بإعداد التدابير السياسية اللازمة لإدارة شئون الحكم، وإقرار السلطة داخل المملكة أثناء غيابه فقام بإسناد إدارة المملكة سياسيا إلى إثنين من المستشارين هما هيودي بولست Huhg de pulset رئيس أساقفة درهام Durham وكان رجلا ذو أصل نبيل يتمتع بالسيادة في شمال انجلترا ولعدم ثقة الملك ريتشارد فيه بمفرده، قام بتعيين الإيرل وليام ماندفيل William Mandevile وهو أحد الأتباع المخلصين له ولأبيه من قبل، إلا أنه ما لبث أن مات بعد إصابته بالحمى فقام الملك بتعيين رئيس أساقفة إيلي ElY وليام لونج شامب William long champ لمساندة هيودي بولست[3].

ترك ريتشارد والدته إليانور وصية على المملكة أثناء غيابه ورغم أن التعيين لم يكن بشكل رسمي إلا أنه تأكد أنها ولتجاربها السياسية سوف تكون حارسة على مملكته إذا فشل المسئولون الذين عينهم في أداء واجباتهم[4].

احتفل ريتشارد بعيد الميلاد لعام 1189م في بلاطه في نورمنديا وبدلا من المنشدين والشعراء ضج الحفل بالحديث عن السفن والأسلحة الحربية وكيفية الإعداد للحملة واستطاع من خلال ماروته له إليانور من ذكرياتها الوقوف على الأخطاء التي وقع فيها لويس السابع أثناء حملته الصليبية الثانية، ولذلك صمم ريتشارد على تفاديها وقرر السفر إلى الأراضي المقدسة بحرا، لذلك استعد الأسطول على الساحل الإنجليزي وكان مجهزا بكامل الأسلحة وكل ما يلزمهم خلال الحملة ولم يسمح ريتشارد لأي شخص غير عسكري بالانضمام للحملة فلا حجاج ولا نساء محاربات ولا علمانيين ولا شعراء جائلين.

لقد حكمت الحملة الصليبية الثالثة بقوانين[5] صارمة فقد قرر ريتشارد أن من يقتل رجلا على ظهر السفينة فسوف يلقى به في البحر وإذا رأى رجلا يلعن أو يسب أحدا من زملائه فسيغرمه قطعا فضية على كل مخالفة يرتكبها[6].

خلال الشهور الأولى من عام 1190م اكتشفت إليانور مجموعة من الأخطار الكبيرة التي هددت عائلتها من الداخل والخارج، فقد عقدت اجتماعا في نونا كورت Nonancourt في مارس عام 1190م، لتوضيح ترتيبات المملكة وحمايتها أثناء غيابه، وحضر الاجتماع إبنها الأصغر حنا وجيفري الابن الغير شرعي للملك هنري[7] وهؤلاء كان ريتشارد قد أبعدهم عن المملكة لمدة ثلاث

(1) William of New burgh, Historia, Vol 1, P. 306.
(2) Meade, Eleanor, P. 304.
(3) Roger of Hovedon, Annalls, Vol 2, P. 137.
Dismond, Eleanor, P. 156. Alison, Eleanor, PP. 251 – 252.
(4) Meade, Eleanor, P. 304. Dismond, Eleanor, P. 156.
Alison, Eleanor, P. 255.
(5) انظر نص الوثيقة الخاصة بهذه التعليمات:
Thatcher. A. A source book of Medieval history New York, 1905, PP. 529 – 535.
(6) Meade, Eleanor, P. 305, Dismond, Eleanor, P. 156.
Alison, Eleanor, P. 256.
(7) Meade, Eleanor, P. 306.

سنوات ولم يسمح لهم بالبقاء بها طوال غيابه في الشرق وذلك رغبة في التخلص من مثيري الشغب وإتاحة الفرصة لنوابه للتصرف بحرية تامة في إدارة شئون المملكة.

لم توافق إليانور على سياسة ريتشارد لأنها أقنعته بالسماح لأخيه حنا بالعودة إلى انجلترا وذلك اعتقادا منها أنه ليس سيئا ومشاغبا بدرجة كافية[1].

أطلعتنا السجلات التاريخية أن إليانور قضت فصل الربيع لعام 1190م في أنجو ونورمنديا، بينما سافر ريتشارد إلى أكوتين لكنها لم ترافقه ويبدو أنها رفضت الزيارة لما حدث من خيانة أتباعها لها أثناء عام 1173م، حينما قاموا بأسرها وتسليمها إلى زوجها.

رغم سخرية إليانور من الحملة الصليبية التي اعتزم ابنها القيام بها إلا أنها شعرت بالفخر لشجاعته فقد أصبح محاربا عظيما عوضها عن سنوات السجن الطوال.

كان ريتشارد من وجهة نظر معاصريه بطل عصره حتى أنهم لم يستطيعوا مقارنته بأي شخصية بارزة كانت معاصرة له[2].

بدأ الأسطول الإنجليزي يتجه إلى مرسيليا في الرابع من شهر يوليو عام 1190م وذلك لمقابلة الأسطول الفرنسي بقيادة الملك فيليب أغسطس الذي يحمل عداء شديدا لريتشارد لأنه ماطل في إتمام زواجه من أخته فرأى فيليب أن بعد وفاة الملك هنري ليست هناك حاجة لتأجيل الزواج، وقبل أسابيع قليلة من المغادرة أصدر فيليب إنذارا أخيرا إما يتزوج ريتشارد أليس فورا أو يعيدها إلى فرنسا مع ميراثها[3].

اتخذ ريتشارد حرمة انضمام النساء للحملة الصليبية كسبب لتأجيل زواجه من أليس حيث وعد فيليب بأنه سوف يتم زواجه منها بعد عودته من الأراضي المقدسة ولهذا كان لزاما على فيليب قبول عرض ريتشارد.

كانت إليانور تحتقر أليس كأبيه وتكرهها بشدة، فرغم أنها عندما انضمت إلى محكمة إليانور في بواتييه كانت في التاسعة من عمرها وقد عاملتها كأحد أطفالها حتى أنها بسبب حبها لها اختارتها لتكون زوجة لابنها ريتشارد، وعندما قام الملك هنري بإغلاق محاكم الحب وأسر أفراد العائلة المالكة كانت أليس في الثالثة عشر من عمرها، بعد ذلك مباشرة وبطريقة ما أصبحت أليس عشيقة للملك هنري.

لم تعرف إليانور جيدا كيف بدأت تلك العلاقة الغير شرعية لكنها أثرت عليها أكثر من علاقة هنري بروزاموند أو أي نساء أخريات. وبرغم أن زوجها كان يلجأ للعديد من النساء الباغيات إلا أن إليانور كانت دائما تلتمس لهن العذر أما أليس فهي أميرة ذات مكانة مرموقة فمن وجهة نظر إليانور لابد أن أليس قد شجعت الملك هنري على تلك العلاقة ولذلك لم تستطع أن تغفر لها خاصة بعد علمها بحمل أليس من الملك هنري[4].

إن إصرار فيليب أوغسطس على إتمام زواج ريتشارد منها أثر على إليانور وحاولت صرف نظر ابنها عنها، وتأكيد عدم صلاحيتها للزواج منه، ورغم أن فيليب أوغسطس قد هدأ نسبيا

(1) Richard of Devizes, Chronicle of Richard, PP. 5 – 11.
Roger, of Hovedon, Annalls, Vol, 2, P. 137. Alison, Eleanor, P. 256.
(2) Meade, Eleanor, P. 306, Dismond, Eleanor, P. 157.
(3) Meade, Eleanor, PP. 306 – 307. Dismond, Eleanor, P. 157.
Alison, Eleanor, PP. 255 – 256.
(4) Meade, Eleanor, P. 307.

بعد وعد ريتشارد له بإتمام زواجه بعد عودته من الحملة الصليبية إلا أن إليانور صممت على التصرف بنفسها خاصة بالنسبة لمسألة وراثة العرش فالأبناء الخمسة الذين أنجبتهم لم يبق منهم سوى إبنان ريتشارد وحنا وكان ريتشارد في الثانية والثلاثين من عمره وليس لديه وريث وقد تساءلت إليانور ما الذي سيحدث في حالة موت ريتشارد في الأراضي المقدسة[1].

كان هناك ثلاثة اختيارات للحفاظ على العرش. كان الاختيار الأول هو أن يتولى العرش في حالة وفاة ريتشارد حفيدها الطفل آرثر الذي ولد بعد وفاة والده جيفري من كونستانس وكان في الثالثة من عمره، لكن كلا من الطفل ووالدته كانا مكروهين من جانب إليانور، أما الاختيار الثاني فهو أن يتولى العرش ابن هنري الغير شرعي جيفري، لكن إليانور كانت ترى أنه لا يصلح لتولي العرش ولذلك حاولت مساعدته في الترقي في الدرجات الكهنوتية حيث كانت رغبة والده وهو على فراش الموت أن يصبح هذا الإبن رئيسا لأساقفة يورك وبرغم أن إليانور رأت أنه أيضا غير مؤهل كليا لتولي هذا المنصب، إلا أنها قررت مساعدته ودعم قضيته هناك حتى تبعده تماما عن العرش.

لم يبق أمام إليانور سوى حل أخير وهو أن يتولى حنا العرش، وهو أمر لم ترغب فيه مطلقا.

نظرا لهذه البدائل المحزنة قررت إليانور تزويج ريتشارد بأسرع ما يمكن حتى ينجب وريثا إضافة إلى تحقيق هذه الأمنية كانت تعلم أنه لا يحب النساء فهو لا يكره الزواج من أليس لأنها كانت عشيقة والده بل رفض الزواج من أي امرأة أخرى.

ولا شك أن معرفة إليانور بأمر ابنها ومرضه سبب لها الكثير من الألم فقد نجحت في جعله محارب عظيم، لكنها فشلت في تربيته تربية سليمة[2].

بالرغم من حساسية هذا الموضوع إلا أن شذوذه الجنسي بدا حقيقة أكثر من كونه مجرد احتمال، مع أن المؤرخين المعاصرين لم يرغبوا في مناقشة هذا الموضوع إلا أنهم وجهوا إساءات متكررة حول طبيعته الشاذة.

لم يقتصر الحديث عن طبيعة ريتشارد الشاذة على بلاط الملك فقط بل انتشر في كافة أنحاء أوروبا حتى أنه شخصيا اعترف بذلك في أكثر من مناسبة وبالتأكيد كان فيليب أغسطس يفهم لماذا لم يكن لدى ريتشارد النية أو الرغبة لإتمام زواجه من أليس أو أي امرأة أخرى.

حاولت إليانور رغم كل ذلك تثبيت فكرة وراثة العرش في رأس إبنها، بضرورة الزواج خاصة وأنه كان له علاقات نسائية وأنه أنجب إبنا غير شرعي من امرأة روسية وبلغ عمره حينئذ خمس سنوات[3].

أثناء الشهور بين وفاة الملك هنري ورحيل الحملة الصليبية أقنعت إليانور ريتشارد بضرورة الزواج بأسرع ما يمكن كما قامت بمسح البيوت الملكية بحثا عن عروس له حيث كانت حذرة جدا لاختيار عروس تحظى بإعجاب ريتشارد.

---

(1) Meade, Eleanor, PP. 307 – 308. Owen, Eleanor, P. 82. Alison, Eleanor, P.257.
(2) Meade, Eleanor, PP. 308 – 309. Owen, Eleanor, P. 82. Alison, Eleanor, P. 257.
(3) Meade, Eleanor, P. 309. Alison, Eleanor, P. 257. Owen, Eleanor, P. 82.

كانت إليانور تعلم بإعجاب ابنها بابن الملك سانشو Sancho ملك نافار فقد كان ابنه أفضل رفاق ريتشارد في حلبات المبارزة، وقد تعرف ريتشارد على أخته برنجاريا Berengaria عن طريقه وكتب ريتشارد بعض أبيات الشعر الرومانسي إعجابا بها. كان ذلك كافيا لإليانور لاختيار برنجاريا عروسا لريتشارد فلم تكد الحملة الصليبية تترك فيزلاي Vezelay حتى سافرت إليانور إلى نافارا لخطبة العروس وإحضارها معها.

أدركت إليانور عند مقابلتها الأولى لبرنجاريا أن ريتشارد لا يستحق تلك العروس التي لم يكن بها عيب ولو بسيط حيث كانت جذابة بدرجة كافية برغم أن المؤرخين لم يقدموا وصفا لجمالها إلا أنهم امتدحوا شخصيتها حيث كانت تتحلى بأدب جم، وسمو خلق، لكنها وبكل مزاياها الجديرة بالإعجاب افتقرت إلى الشجاعة والدفاع عن نفسها فكانت سلبية بدرجة كبيرة ولا تستطيع أن تحرك ساكن دفاعا عن مصلحتها الشخصية[1]، وذلك على عكس إليانور ولا شك أن زواجها من ريتشارد سيعطيها فرصة أن تكون ملكة لذلك سلمت نفسها إلى إليانور لتتصرف معها كما لو كنت حمل يحمل للذبح.

لم يكن لدى إليانور نية الانتظار حتى عودة ريتشارد من حملته الصليبية لأن احتمال موته في الأراضي المقدسة كان أمرا قائما لذلك قررت اصطحاب برنجاريا والذهاب بسرعة للحاق بريتشارد، ورغم أن السفر عبر جبال الألب[2] في فصل الشتاء فيه مخاطرة حتى بالنسبة للفارس الشجاع إلا أنها لم تنتظر تحسن الطقس ولحسن الحظ كانت جيوش ريتشارد وفيليب أوغسطس تقضي فصل الشتاء في ميسينيا[3].

وصلت إليانور وبرنجاريا إلى صقلية في الثلاثين من مارس عام 1191م أثار ظهور إليانور وسط جموع الصليبيين في صقلية العديد من الأساطير القديمة الخاصة بعلاقتها بعمها ريموند دي بواتييه فرغم مرور سنوات طويلة على ذلك إلا أنها لم تكن كافية لنسيان الأمر تماما.

مكثت إليانور مع ريتشارد في ميسينيا أربعة أيام فقط استمعت خلالها لأخباره وشجاره مع فيليب أوغسطس حول زواج أخته[4] فقد حذر فيليب ريتشارد أنه إذا ترك أليس وتزوج من أخرى فإنه سيصبح عدوا له طوال حياته، ورد ريتشارد عليه أنه لن يتزوج أليس مهما كان الأمر بعد أن كانت عشيقة لوالده وأنجب منها طفلا.

وبناء على ذلك ونتيجة لتدخل البارونات والأساقفة وافق فيليب على إحلال ريتشارد من وعده له بالزواج من أخته أليس بشرط أن يعيد إليه صداقها[5].

---

(1) Meade, Eleanor, PP. 309 – 310. Alison, Eleanor, PP. 257 – 258,
Owen, Eleanor, P. 82. Dismond, Eleanor, PP. 158 – 159.

(2) جبال الألب: هي سلسلة من الجبال تمتد جنوب وسط أوروبا. تنحدر بصفة عامة جنوب غرب - شمال شرق في اتجاه البحر المتوسط لتشغل جزءا كبيرا من جنوب فرنسا وشمال غرب إيطاليا. انظر: Moore, G. PP. 30 – 31.

(3) ميسينيا: مدينة بجزيرة صقلية، تطل على البحر من الجهة الجنوبية منها ومرساها من أعجب مراسي البلاد البحرية لأن المراكب الكبار تدنو فيه من البحر حتى تكاد تلمسه وبها جبل بركاني. انظر: ابن جبير: رحلة ابن جبير، دار الشرق العربي، بيروت، ص252-256.

(4) Meade, Eleanor, PP. 309, 10. Alison, Eleanor, P. 258.
Owen, Eleanor, P. 82. Dismond, Eleanor, P. 158 – 159.

(5) Roger of Hovedon, Annalls, Vol, 2, P. 101.
Meade, Eleanor, P. 311. Dismond, Eleanor, P. 159.

وبالرغم من تسوية الأمر بين فيليب وريتشارد إلا أن غضب فيليب لم يهدأ لكنه كان حذرا من زوجة أبيه السابقة إليانور.

واجهت إليانور وهي في صقلية عدة مشاكل منها ما يخص ابنتها جونا والتي ترملت منذ أربعة أشهر ولم يكن لديها أطفال وفقدت عرشها بعد أن استولى عليه ابن أخو زوجها وليام ملك صقلية واستطاع ريتشارد الحصول بصعوبة بالغة على بعض الممتلكات الخاصة بها.

انضمت جوانا إلى والدتها وأخيها ريتشارد في ميسينيا وقد ظلت الأميرة برنجاريا بصحبة جوانا، ورغم أنه لم يسمح بانضمام النساء إلى الحملة إلا أن إليانور تجاهلت قوانين الحملة وقررت ضم السيدتين إليها بحجة أن زواج ريتشارد وبرنجاريا سيتم في وقت قريب خاصة وأنها سمعت بعد وصولها إلى صقلية قصصا مقلقة عن اعتراف ريتشارد بعد وصوله هناك لعامة الناس بمرضه بالشذوذ الجنسي وهذا سبب لها قلقا وجعلها غير مقتنعة بأنه سينصلح بعد زواجه ومما زاد من قلقها الأخبار التي أشارت إلى أن ريتشارد يفضل أن يكون ابن أخيه آرثر وريثا للعرش وأن يموت دون وريث من صلبه[1].

نجاح الملكة إليانور في التصدي لمحاولات حنا لاغتصاب العرش :

علمت إليانور وهي في صقلية بتحركات حنا في مختلف أرجاء المملكة ومحاولاته نشر إشاعات عن عدم عودة ريتشارد من الأراضي المقدسة، هذا بالإضافة إلى تصرفات وسلوك وليام لونج شامب الذي تصرف بحرية مطلقة كما لو كان هو الملك، أخطأت إليانور وريتشارد في حكمهما على الأمير حنا، فقد أقنعت ريتشارد بالإبقاء عليه في المملكة لعدم خطورته.

اتخذت إليانور كل الاحتياطات للتعامل مع كل الاحتمالات فقبل مغادرتها صقلية في الثاني من أبريل 1191م حصلت على موافقة ريتشارد في التعامل مع مستشاره وليام لونج شامب بشدة لكبح جماحه، وخلال عودتها إلى انجلترا اتخذت طريقها أولا إلى روما وذلك لمقابلة البابا كلستين الثالث[2] Celestinus III لحل مشكلة جيفري ابن الملك هنري الغير شرعي حيث حصلت على موافقة البابا على تولية جيفري رئيسا لأساقفة يورك York وبعد ذلك بدأت رحلتها إلى إنجلترا بنهاية شهر يونيو عام 1191م.

وصلت إليانور إلى روين حيث مكثت بها بعض الوقت قبل أن تعبر القنال الإنجليزي عائده إلى انجلترا وهناك بدأت الاضطرابات تتصاعد بسرعة لأن جيفري شعر بالأمان بعد مفاوضات إليانور مع البابا نيابة عنه، ولذا تجاهل قرار الإبعاد عن المملكة وعاد إلى دوفر[3] Dover حيث تم معاملته بأسلوب سئ لا يتلاءم بأي شكل من الأشكال مع منصب رئيس الأساقفة[4].

---

(1) Meade, Eleanor, P. 311. Alison, Eleanor, PP. 261 – 265.
Owen, Eleanor, P. 83. Dismond, Eleanor, PP. 158 – 160.

(2) كلستين الثالث: هو جياسينت بوباني أورسيني Giacint – Boboni – orsini تولى عرش البابوية في 3 مارس عام 1911م/2 ربيع أول عام 587هـ وهو البابا الثالث الذي تم انتخابه من عائلة أورسيني لمنصب البابوية، واعتلى عرشها وهو في سن الخامسة والثمانين من عمره. لمزيد من التفاصيل انظر: Kuhner, H, Encyclopedia of the papacy, London, 1959, P. 84.

(3) دوفر: مدينة إنجليزية وميناء بحري في الشرق من كنت على مضيق دوفر على بعد مائة وخمسة كيلو متر جنوب شرق لندن. انظر: Moore, W, G., Encylopedia, P. 232.

(4) Meade, Eleanor, P. 312, Owen, Eleanor, P. 84.

رأى حنا أن الفرصة متاحة له لتخليص نفسه من المستشار المتغطرس وليام لونج شامب الذي اعتبره عدوه الرئيسي، لذلك دعا الأساقفة وأقنعهم بسوء سلوك لونج شامب الذي تصرف بغرور واحتقر كل شخص وتجاوز سلطته وطلب منهم ضرورة محاسبته، حيث قام حنا بعقد اجتماع في كاتدرائية القديس بول Paul وجرد فيه وليام من سلطته وأبعده عن المملكة، مما أثار خوفه حتى أنه فكر في كيفية الهروب من المملكة فتنكر في زي امرأة عاهرة، ثم اتجه إلى دوفر حتى يمكنه أن يجد وسيلة تنقله إلى مكان بعيد[1].

استطاع لونج شامب الهرب إلى باريس حيث اتصل بإثنين من الكرادلة وجذب انتباههم لقضيته وأقنعهم بضرورة مناقشة مشكلته مع إليانور التي سعدت كثيرا بطرده من إنجلترا ولم يكن لديها نية التفاوض مع الكرادلة لذلك عندما حاولوا عبور الحدود لمقابلتها لم يسمح لهم لأنهم أجانب وهو أمر غير مسموح به قانونا[2].

كانت الملكة إليانور تحتفل بعيد الميلاد لعام 1192م في قلعة بونفيل Bonville الواقعة في دوقية نورمنديا وفي تلك الأثناء وصلت أخبار بعودة الملك فيليب أوغسطس من رحلته إلى الشرق، حيث كان فيليب أوغسطس قد قرر العودة من الشرق تاركا قيادة الجيش الصليبي لريتشارد قلب الأسد فقد أراد العودة إلى أوروبا قبل الملك ريتشارد الذي ربما ينتهي أجله في الشرق مما يسهل له تحقيق أطماعه في أملاك التاج الإنجليزي، وإذا لم يستطع ذلك فعلى الأقل يمكنه إثارة القلاقل ضده داخل المملكة وذلك عن طريق إثارة أخيه حنا ومساندته في الاستيلاء على العرش[3].

وصل الملك الفرنسي فيليب أوغسطس إلى قلعة فونتين بلو[4] Fontainebleaui وهناك احتفل بعيد الميلاد 1192م/588هـ وبعد أن استقر به المقام اتجه صوب أراضي الملك ريتشارد وقام بالاستيلاء على بعض القلاع الصغيرة والأراضي المحيطة بها، وفي نفس الوقت لم يحرك الإيرل حنا شقيق الملك ريتشارد ساكنا تجاه ما يحدث.

كذلك دعا الملك فيليب إلى عقد اجتماع كبير في دوقية نورمنديا في العشرين من شهر أبريل عام 1192م، حضره كبار البارونات في الدوقية وقد طالبهم الملك في هذا الاجتماع بأن يحضروا له أخته أليس التي كانت موجودة في قلعة روين، وتحت حراسة خاصة وأن يسلموا له قلعة جيسور وكونتية أوشة Auch وأمورال Aumarle على اعتبار أنها كانت صداق أخته في حالة إتمام زواجها من الملك الإنجليزي.

لكن المجتمعين رفضوا تلك المطالب بناء على أوامر الملكة إليانور متعللين بأنهم لم يتلقوا أية أوامر من سيدهم بخصوصها، إلا أن الرد أشعل ثورة وغضب الملك الفرنسي، فقام على الفور بإعداد جيش ضخم لاقتحام دوقية نورمنديا انتقاما من رفضهم لمطالبه.

قامت إليانور بعد إحباطها لخطط فيليب بتقوية حاميتها وتحصين قلاعها استعدادا للهجوم المتوقع لقوات فيليب إلا أنها سرعان ما اتضح لها خطأ توقعاتها لأن الخطأ جاء عن طريق إبنها

Dismond, Eleanor, PP. 165 – 166. Alison, Eleanor, PP. 265 – 266.

(1) Roger of Hovedon, Annalls, Vol 2, PP. 231 – 236. Chronicle Florence of Worcester, P. 306. Meade, Eleanor, P. 312. Alison, Eleanor, PP. 268 – 9.

(2) Roger of Hovedon, Annalls, Vol. 2, PP. 265 – 266. Dismond, Eleanor, P. 167.

(3) Richard of Devizes, chronicle, PP. 42 – 44.

(4) فونتين بلو: مدينة فرنسية تقع بالقرب من نهر السين، على بعد ثمانية وخمسين كيلو متر إلى الجنوب الشرقي من باريس وهي من أجمل المدن الفرنسية. انظر: Moore, Encyclopedia, P. 282.

حنا، فقد نجح الملك فيليب في إثارته بعد أن وعده بمساعدته في الاستيلاء على العرش[1]، ولذلك قام الإيرل بالاستيلاء على عدد من القلاع التي لا تقع داخل نطاق ميراثه بالإضافة لطرده المستشار المعين من قبل الملك، وقد وصلت أخبار ذلك إلى الملك ريتشارد في الشرق ونتيجة لنجاح الملك فيليب في إثارة حنا وإشعال الاضطرابات في إنجلترا عاد الملك ريتشارد بعد ما عقد صلح الرملة[2] في سبتمبر 1192م مع السلطان صلاح الدين الأيوبي وعلى أثر ذلك غادر الشرق متجها إلى أوروبا، عن طريق البحر، إلا أن عاصفة عاتية أجبرته على النزول في جزيرة كورفو اليونانية التي تقع ضمن أملاك الإمبراطورية البيزنطية التي خلق لنفسه العداء معها باستيلائه على جزيرة قبرص قبل توجهه إلى الأراضي المقدسة، لذا خشي أن يقع أسيرا، فبادر مسرعا بالرحيل من هناك متنكرا في هيئة فارس من الداوية، وبرفقته الخاصة من رجاله فاجتاز بهم إقليم سلافونيا Slavonia حتى دخل أملاك دوق النمسا ليوبولد الخامس[3] (1177-1195م) Leopold V Duke of Austria الذي قام بالقبض عليه في العشرين من ديسمبر 1192م في مدينة فيينا وما لبث أن سلمه للإمبراطور الألماني هنري السادس 1191-1197م مقابل خمسين ألف مارك من الفضة، وقد قام الإمبراطور بحبس الملك ريتشارد في قلعة تسمى تريفل[4] Trifels وقد علق أحد المؤرخين على ذلك بأنه لم يحدث بالصدفة المطلقة بل دبرته الحكمة الربانية وقضت بأن يكون انتقاما على ما اقترفه من خطأ في شبابه ضد والده، حتى يعود إلى صوابه ويتوب[5].

قام الإمبراطور هنري بإرسال رسالة إلى الملك فيليب أوغسطس في الثامن والعشرين من ديسمبر 1192م يخبره فيها بأسره للملك ريتشارد ففرح فيليب أوغسطس فرحا شديدا بذلك ووجدها فرصة للانتقام من ريتشارد حيث قام بإرسال سفارة إلى الإمبراطور هنري السادس برئاسة رئيس أساقفة ريمز مطالبا من خلالها الإمبراطور الألماني بتسليم الملك ريتشارد له أو أن يتعهد الإمبراطور الألماني بأن يمد فترة الأسر إلى أجل غير مسمى[6].

جلست إليانور في انجلترا تنتظر عودة ريتشارد وقد سيطر عليها القلق والخوف خاصة بعد وصول آخر المجموعات الصليبية القادمة من الشرق والتي غادرت بعد سفر ريتشارد بوقت

---

(1) Roger of Hovedon, Annalls, Vol 2, PP. 265 – 271.
روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص405.
Meade, Eleanor, P. 315. Alison, Eleanor, P. 273.
Owen, Eleanor, P. 85. Dismond, Eleanor, PP. 167 – 169.

(2) عن صلح الرملة انظر:
ابن شداد، بهاء الدين يوسف ت632هـ: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، القاهرة، 1962م، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، الجزء التاسع، القاهرة، 1357هـ، أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ت665هـ: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ج2، تحقيق محمد حلمي، القاهرة، 1947م، ابن أيبك: الدوادر ت709هـ: الدر المطلوب في أخبار بني أيوب، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، 1972م، ابن واصل، جمال الدين عبد الله ت697هـ: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج2، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، 1960م.

(3) ليوبولد الخامس: ولد في عام 1157م. وهو ينتمي إلى أسرة بامبرج Babenberg التي امتد حكمها للنمسا من عام (976-1246م) وقد خلف أباه هنري جاسر مرجت Henry jasro mirgott ويعرف في المراجع باسم هنري الثاني Henry II الذي حكم البلاد من عام (1156-1141م) لمزيد من التفاصيل انظر: علي أحمد محمد السيد: دور ليوبولد الخامس دوق النمسا في الحملة الصليبية الثالثة وتداعياته (1194-1189م) بحث منشور في مجلة الإنسانيات. العدد الثاني والعشرون، كلية الآداب بدمنهور، 2005م، ص249-250.

(4) تريفل: تقع على حدود ألمانيا بإقليم اللورين، وهي قلعة كبيرة تقع على أعلى قمة جبلية هناك، وبنيت لتكون سجنا للأعداء المشهورين فقط إما لخطورتهم أو لسوء سمعتهم، لذا يصعب على أحد الهروب منها. انظر: روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص398.

(5) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص394، 59، 96، 97، 98.

(6) Roger of Hovedon, Annalls, Vol. 2, P. 286. Dismond, Eleanor, P. 170.

طويل، فعلى طول الساحل استمرت عمليات المراقبة للقنال الإنجليزي على أمل رؤية السفينة الملكية خاصة وأن إليانور علمت بوصول جوانا وبرنجاريا إلى روما بسلام بينما تأخر إبنها عدة أسابيع ولم يكن هناك أي معلومات تتعلق به، بينما انتشرت شائعات تفيد بمقتل الملك ريتشارد، لكن بعد مرور ثلاثة أيام على الاحتفال بعيد الميلاد علمت إليانور بوقوع ريتشارد أسيرا في يد الإمبراطور هنري السادس، فقد استطاع رئيس أساقفة روين أن يحصل على نسخة من الرسالة المرسلة إلى الملك فيليب أوغسطس من الإمبراطور الألماني.

في الوقت الذي كان الملك ريتشارد أسيرا بدأ الملك فيليب يخط للقضاء على الكيان الإنجليزي، فما لبث أن أرسل إلى الإيرل حنا يدعوه للقائه على حدود دوقية نورمنديا، حيث أخبره هناك بوقوع الملك ريتشارد أسيرا في يد الإمبراطور الألماني، وقد فرح حنا بهذا الخبر كثيرا وعقد آمالا عظيمة في أن يكون ملكا خاصة عند سماعه بصعوبة فراره من هناك، لذا بدأ يصغي لنصائح الملك الفرنسي الذي بدأ محاولا إقناعه بترسيمه ملكا على المملكة[1]، ووعده بإمداده بالمساعدات التي تمكنه من العرش، بالإضافة إلى إتمام زواجه من أخته أليس، فضلا عن أنه سيترك في يده دوقية نورمنديا وأكوتين وأنجو وكل الأراضي الواقعة جنوب القنال الإنجليزي وهي من أملاك الملك هنري الثاني وفي الوقت الذي انشغلت فيه إليانور باتخاذ الخطوات اللازمة لإطلاق سراح ريتشارد من أسره، قام أخاه حنا بالاتجاه إلى نورمنديا حيث دعا هناك لعقد لقاء مع كبار البارونات الذين يدينون بالولاء للملك ريتشارد، وناقش معهم أمر أسر سيدهم وحاول إقناعهم بفرض سيادته على المملكة وعندما اجتمع بهم وخطب فيهم قائلا: "لو أقررتم بسيادتي عليكم وأقسمتم على طاعتي، فإني أعدكم أن نتحد سويا فإن عناية الله ستنقذ ملككم"[2].

بعد ذلك قام حنا بمغادرة دوقية نورمنديا متجها إلى باريس وعند وصوله استقبله الملك الفرنسي بالترحاب، وأغدق عليه الأموال، وهناك عقد اتفاقا كبيرا كان من نتائجه أن قضى بحرمان ابن أخيه آرثر دوق بريتاني، وإبعاده عن الآمال التي يسعى لها البريتانيون من حوله كما تعهد الإيرل حنا للملك فيليب بأنه سوف يتزوج من أخته أليس، وأن يطلق يد سيده الملك الفرنسي على مقاطعتي جيسور وفيكسين التابعتين لدوقية نورمنديا، والتي سيحصل عليها الإيرل حنا كصداق لعروسه مع أجزاء أخرى من دوقية الفلاندرز.

صدق الملك الإيرل بالقسم على هذا الاتفاق هذا في الوقت الذي كان فيه الملك ريتشارد يتحين الفرصة للحديث مع الإمبراطور الألماني لإقناعه بأنه لا فائدة تعود عليه من أسره وإنه لم يكن أسير حرب وقد حاول الملك ريتشارد أن يفدي نفسه بالأموال[3].

عمل الإمبراطور الألماني على الاستفادة من أسر الملك الإنجليزي عنده لذا دعا لعقد اجتماع كبير في مدينة ورمز في أغسطس من عام 1193م دعا إليه جميع بارونات الإمبراطورية للنقاش في تحديد مدى الاستفادة التي ستعود على الإمبراطورية من أسر الملك ريتشارد وهناك أعلن للحاضرين أنه أعطى دوق النمسا خمسين ألف مارك من الفضة، في مقابل تسليم الملك الأسير إليه لذلك تعالت الأصوات تنادي بمضاعفة المبلغ إذا أراد الملك أن يفدي نفسه.

---

(1) Roger of Hovedon, Annalls, Vol. 2, PP. 286 – 287.
Meade, Eleanor, P. 317. Dismond, Eleanor, PP. 168 – 169.
Owen, Eleanor, PP. 85 – 86. Alison, Eleanor, P. 283.

(2) Roger of Hovedon, Annalls, Vol. 2, PP. 286 – 287.
Meade, Eleanor, P. 317. Dismond, Eleanor, PP. 172 – 173.
Owen, Eleanor, PP. 85 – 86.

(3) Meade, Eleanor, P. 322. Dismond, Eleanor, PP. 173 – 175.

في أثناء الاجتماع وصل مبعوثان من قبل الملك الفرنسي والإيرل حنا عارضين على الإمبراطور، أن يدفع الملك الفرنسي خمسين ألف مارك نيابة عنه، بالإضافة إلى قيام الإيرل حنا بدفع خمسين ألف أخرى في مقابل ذلك يقوم الإمبراطور بالاحتفاظ بأسيره حتى عيد القديس ميخائيل المقبل، وإذا تم لهم زيادة المدة عن ذلك سيقومون بدفع ألف مارك فضة عن كل شهر يحتفظ به، وإن لم يوافق على ذلك يكن له الخيار في أن يقوم الملك الفرنسي بدفع مائة ألف مارك فضة ويدفع الإيرل حنا ألف أخرى مقابل قيام الإمبراطور بتسليم الملك الأسير لهم أو استمرار سجنه لمدة عام[1].

بعد سماع الإمبراطور هذه العروض لم يعط جوابا، بل جمع إليه نبلاءه مرة أخرى عارضا الخيار بين هذه العروض أو فتح مجال التفاوض مع الملك الأسير، وعلى ما يبدو أن العرض الأول لم يحظ بالقبول[2]، لذا ما لبث أن وصل مبعوث الملكة إليانور التي لم تدخر جهدا في محاولة فك أسر ولدها، فاستخدمت في ذلك المكاتبات والمراسلات حيث بعثت عدة خطابات إلى البابا كلستين الثالث تناشده فيها بمساعدته في إطلاق سراح ابنها (انظر الوثيقة رقم 5) ويقال بأن البابا فور سماعه بخبر أسر الملك ريتشارد قام بإنزال عقوبة الحرمان الكنسي ضد الدوق ليوبولد لقيامه بأسر الملك ريتشارد، كما هدد الملك فيليب أوغسطس بإنزال عقوبة الحرمان الكنسي ضده إذا تعرض لأراضي الملك المأسور، وكذلك هدد الأتباع الإنجليز بالحرمان الكنسي إذا فشلوا في جمع الفدية المطلوبة لإطلاق سراح سيدهم[3].

ونتيجة لتوسلات الملكة إليانور لدى الإمبراطور الألماني، قام الإمبراطور بالاستجابة لطلبها وفتح باب المفاوضات، وذلك من خلال مبعوثيها وعلى ما يبدو أنه نتيجة تلك المحادثات أسفرت عن اتفاق يقضي بدفع مملكة إنجلترا مائة ألف مارك فضي كفدية للملك الأسير، تدفع على أقساط في أوقات محددة، مع تقديم خمسين رهينة من أهم الشخصيات في المجتمع الإنجليزي، من رؤساء الأساقفة والكونتات وعدد من البارونات، حتى يتم دفع المبلغ كاملا. في مقابل ذلك يقوم الإمبراطور فضلا عن إطلاق سراح الملك بتوجيه إنذار شديد اللهجة إلى الملك الفرنسي والإيرل حنا بأن يقوموا برد كل الأراضي والقلاع التي تم الاستيلاء عليها في غياب ملك إنجلترا، وإن لم يفعلوا ذلك فسيكونوا هدفا لانتقام الملك الإنجليزي، الذي أعطى إليه وعدا بفك أسره، وعلى ذلك هبت مملكة انجلترا تحت قيادة الملكة إليانور، لجمع الفدية فقامت بالاستيلاء على ما في الخزائن وعلى الحلي في الكنائس والأديرة وصكتها عملة وأرسلتها إلى الإمبراطور، الذي ما لبث أن أطلق سراحه في مارس 1194م بعد أسر دام ثلاثة عشر شهرا[4].

عودة الملك ريتشارد إلى انجلترا :

بعد أن أطلق سراح الملك ريتشارد انطلق إلى مملكته حتى وصلها في 20 مارس 1194م حتى يقال أنه طوى رحلة أربعة أيام في يوم واحد، وذلك من خلال إعداد الجياد على طول الطريق، وتذكر المصادر أن الملك الفرنسي عجز عن حراسة الطريق حراسة جيدة حتى يحول دون وصول الملك

(1) Roger of Hovedon, Annalls, Vol.2, PP. 288 – 290 – 293 – 307.
Alison, Eleanor, P. 391.
(2) Roger, of Hovedon, Annalls, Vol 2, P. 293.
(3) Meade, Eleanor, P. 323. Dismond, Eleanor, P. 180.
(4) Roger of Hovedon, Annalls Vol, 2, PP. 293 – 310 – 311.
روجر أوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص400.
Alison, Eleanor, P. 291 - 292 Alison, Eleanor, P. 293.
Dismond, Eleanor, P. 178 – 197.

ريتشارد إلى بلاده، على الرغم من حصوله على جزء من الفدية في مقابل مروره في أرضه. وما أن وطأت قدما الملك ريتشارد أرض مملكة إنجلترا، حتى عكف على جمع بقية الفدية، من أجل إطلاق سراح الرهائن، وتحرير نفسه من القسم الذي أقسمه، وذلك بصك كل ما هو نفيس بالإضافة إلى فرض الضرائب وعلى الرغم من ذلك، إلا أنه عندما وصل إلى مدينة لندن استقبل استقبالا حافلا، ومن هناك تحرك إلى مدينة نوتنجهام[1] Nottingham حيث احتفل فيها بعيد الفصح[2]، ومنها إلى مدينة وينشستر، حيث تسلم تاج المملكة للمرة الثانية في 7 أبريل 1194م من رئيس أساقفة كانتبري. وكان تتويجه للمرة الثانية أمرا ضروريا لاستعادة هيبته بعد الإذلال الذي عانى منه بوقوعه أسيرا في يد الإمبراطور الألماني[3].

بعد الاحتفال بالتتويج اتجه ريتشارد وإليانور إلى دوقية نورمنديا والتي وصلوها في 11 مايو 1194م وهناك لعبت إليانور دورا كبيرا للإصلاح بين ريتشارد وأخيه حنا الذي شعر بالخوف بعد إطلاق سراح ريتشارد إلا أنها طمأنته وهدأت ريتشارد الذي نظر إلى تصرفات أخيه حنا أثناء غيابه على أنها تصرفات صبيانية وأن العقاب يجب أن ينزل بمن حرضه على فعل ذلك، ومن ثم فعندما تم إحضار حنا إلى ريتشارد جلس عند قدميه وطلب العفو منه، فسامحه ريتشارد وقبله[4].

بعد نجاح إليانور في التوفيق والصلح بين ولديها شعرت بملل من الحروب السياسية، كما لو أن أسر وفدية ريتشارد قد استنفذ كامل طاقتها لإنقاذه من أعدائه، كما وفقت بين أبنائها وأعادت السلام للمملكة.

قررت إليانور في عام 1194م الانضمام إلى دير فونتفريولت ليس كرئيسة له كما كان يريد زوجها الملك هنري ذلك، لكن كضيف ملكي مصحوب بعائلة بسيطة، وهناك شعرت إليانور بالراحة خاصة بعد وجودها وسط أشخاص مألوفين لها، فجدتها فيليبا قد دفنت هناك، وفي كنيسة الدير رقد زوجها هنري الثاني بلانتاجنت.

بعد انضمام إليانور إلى دير فونتفريولت لم يظهر اسمها كثيرا في السجلات الرسمية إلا نادرا[5].

خلال السنوات التي قضتها إليانور في الدير استمر الكفاح بين البلانتاجنت وآل كابيه، فقد تزوجت أليس كابيه وهي في الخامسة والثلاثين من عمرها من أحد أتباع الملك فيليب[6]، وعقد الملك فيليب مع الملك ريتشارد اتفاقا في 15 يناير 1196م وبناء عليه تنازل عن إقليم فيكسين Vexin للملك الفرنسي[7]، وكان ذلك بمثابة كارثة لإليانور لأن وقوع فيكسن في قبضة الفرنسيين

---

(1) نوتنجهام: مدينة إنجليزية تقع على نهر ترنت Trent وتعد من أهم المراكز الصناعية في انجلترا. انظر:
Moore, W.G., op.cit, P. 571.

(2) Ruger of Hovedon, Annalls, Vol 2, PP.312 – 326.
Meade, Eleanor, P. 324. Chronicle of Florence, P. 307.

(3) Roger of Hovedon, Annalls, Vol 2, PP. 312 – 326.
Meade, Eleanor, P. 324. Dismond, Eleanor, P. 188.

(4) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص408.
Roger of Hovedon, Annalls, Vol 2, P. 325.
Meade, Eleanor, P. 325. Dismond, Eleanor, P. 300.

(5) Meade, Eleanor, P. 325. Alison, Eleanor, P. 301. Dismond, Eleanor, P. 197.

(6) Meade, Eleanor, P. 326. Alison, Eleanor, P. 304.
Dismond, Eleanor, P. 191.

(7) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص481.

يفتح الطريق لمهاجمة مقاطعة نورمنديا، لكن الذي أقلقها أكثر من خسارة فيكسين هو عدم إنجاب ريتشارد للوريث، فرغم أنها كانت متلهفة لتزويجه من برينجاريا إلا أن ريتشارد تجاهل وجودها معه فقد عاشت برينجاريا كأرملة، بينما ظل ريتشارد على طبيعته الشاذة لدرجة أنه في عام 1195م زاره أحد العباد وحذره من عقاب الله إذا استمر على هذا الشذوذ(1).

استمرت الهجمات الفرنسية على الأراضي الإنجليزية رغم عودة إقليم فيكسين إلى الملك فيليب الأمر الذي جعل الملك ريتشارد يعد العدة للقضاء على قوة الملك الفرنسي، فتذكر المصادر أنه في يناير عام 1197م قام الملك ريتشارد ببناء قلعة كبيرة تسمى جيلارد Gaillard(2) وذلك لتحصين دوقية نورمنديا وإحباط خطط الملك فيليب لغزوها(3).

استمر النزاع بين الملك فيليب وريتشارد حتى تم عقد هدنة بينهما في يناير عام 1199م لمدة خمس سنوات.

وفاة الملك ريتشارد وتولي أخيه الإيرل حنا عرش المملكة :

استغل الملك ريتشارد الهدنة للقضاء على الثوار، فحشد جيشا واتجه صوب دوقية أكوتين ومنها إلى مقاطعة ليموزين، وهناك فرض حصارا على إحدى قلاعها وتسمى شالوس Chalus وأثناء الحصار أصيب الملك ريتشارد بسهم مسموم ألقاه شخص يدعى بطرس باسليوس Peter Basillius وذلك في يوم الثلاثاء الموافق 26 مارس 1199م، ولم يبد ريتشارد لجرحه أي اهتمام، وواصل حصاره للقلعة حتى تم له الاستيلاء عليها بعد اثنى عشر يوما من الحصار، ثم وضع فيها فرسانه وقام بتحصينها، ولم يتم علاج جرحه طيلة هذا الوقت حتى تورم وصار لونه أسود، وسبب له آلاما غير محتملة، وعندما شعر الملك بدنو أجله طهر نفسه من آثامه وطلب حضور والدته التي غادرت الدير قادمة إلى ليموزين وعند وصولها كان ريتشارد قد دخل في طور الاحتضار ولم يبق أمامه سوى توزيع ممتلكاته حيث عين أخاه حنا وريثا له وأعطاه أراضيه في أوروبا ومملكة إنجلترا، كما أوصى ريتشارد بأن يدفن جسده في دير فونتفريولت الذي دفن فيه والده، وأوصى بقلبه لكنيسة روين Rouen أما أحشاؤه فتدفن في كنيسة قلعة بوكتي. وفجأة امتد الورم إلى قلبه، مما أدى إلى وفاته في 6 أبريل 1199م، بعد حكم للمملكة دام ما يقرب من تسع سنوات ونصف، وتم دفنه في الدير المذكور عند قدم والده الملك هنري الثاني(4).

بعد وفاة الملك ريتشارد انقسمت مملكة انجلترا بين مؤيد ومعارض لأن الجميع يعلم أن الملك مات بدون وريث، فصاحبا الحق الشرعي في التاج كان الإيرل حنا شقيق الملك والدوق آرثر

Alison, Eleanor, P. 304.

(1) Meade, Eleanor, P. 326. Alison, Eleanor, P. 304.

(2) قلعة جيلارد تقع عند نهر السين بالقرب من جاليون Gaiilon وهي عبارة عن حصن محفور في الصخر ذو فناء ثلاثي الشكل، يحتوي على العديد من الحوائط ذات سمك خمسة أمتار، شيدت على صخرة كبيرة بلغ محيط برج الحصن المصدع عشرين مترا، فضلا عن ذلك حضنت مجموعة من الحصون الصغيرة التي تحيط بالنهر، بحيث تغطي مدينة روان وتمنع إغارة الجيوش الفرنسية على نورمنديا.

Guillaume le Breton Armorico Philippidos Librix 11, sive Gesta Philippi Augusti, R.H.G.F., Tome XVII, PP. 180, 194 – 195.

(3) Roger of Hovendon, Annalls, Vol, 2, P. 399 – Alison, Eleanor, P. 304.

(4) Roger of Hovedon, Annalls, Vol 2, PP. 452 – 454.

روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص456-457.

Meade, Eleanor, PP. 328 – 329 – Dismond, Eleanor, P. 312.

Alison, Eleanor, PP. 310 – 311 – 312.

دوق بريتاني ابن جيفري الشقيق الأكبر للملك الراحل، والذي اعترف به الملك ريتشارد وريثا له عندما كان في مسينيا، فأصبح هناك من يؤيد الإيرل حنا ومن يؤيد آرثر الذي كان يطالب في حقه في إرث والده جيفري. إلا أن حنا بعد وفاة ريتشارد احتفظ بكل أتباعه وأعطى أوامره إلى رئيس أساقفة كانتربري، والمارشال وليام بتولي أمور المملكة أما هو فقد انتقل على الفور بناء على أوامر والدته إلى قلعة شينون Chinon لاستلام كنوز الملك الراحل والتي تركها تحت وصاية حنا دي تورنهام John de Tournham الذي ما أن وصل الإيرل إليه حتى سلمه إياها فضلا عن قلاع سامور Samour وشينون، وقلاع أخرى صغيرة، وعلى الجانب الآخر استطاع آرثر أن يضم إليه أمراء أنجو ومين وتور وحصل منهم على قسم الطاعة وتم الاعتراف له بالسيادة، فضلا عن المساعدة التي تلقاها من الملك فيليب أوغسطس[1].

ومن شينون تحرك الإيرل حنا إلى مدينة روين حيث جرى تتويجه دوقا لدوقية نورمنديا على يد رئيس أساقفتها في 25 أبريل 1199م حيث أقسم الدوق حنا على حماية الكنيسة المقدسة والحفاظ على كرامتها[2].

أثناء ذلك قررت إليانور الوقوف في وجه الدوق آرثر فجمعت جيشا كبيرا وتوجهت به نحو أنجري لاستعادتها، وعلى ما يبدو أن آرثر ووالدته كونستانس لم يتوقعا هذا النشاط من الإيرل حنا ولا من إليانور التي كانت في السابعة والسبعين من عمرها آنذاك، فما أن علموا باقتراب إليانور وجيشها حتى تراجعوا بعجالة إلى لي مانس Le Mans بينما دمر جيش إليانور أنجري وحمل العديد من الأسرى، أما الإيرل حنا فحشد مثل والدته جيشا كبيرا وتقدم به صوب الجنوب متجها نحو لي مانس Le Mans التي انسحب منها الدوق آرثر فقام الإيرل حنا بهدم قلعتها وحطم العديد من المنازل وأسر بعض الأتباع البارزين بها، لكن الخطر لم ينته على الإطلاق، فقد فشلت محاولات البلانتجنت للقبض على آرثر، كما أن الإيرل حنا وجد أن بقاءه في الجنوب فترة طويلة من شأنه أن يعرض دوقية نورمنديا للخطر كما أنه من المحتمل أن يقع شخصيا في الأسر[3]، لذلك ترك الإيرل حنا مقاطعة أنجو ومين تحت رعاية والدته إليانور، بينما تراجع هو إلى نورمنديا، وفي نهاية شهر مايو 1199م أبحر مع بضعة من أصدقائه المقربين إلى انجلترا، حيث قام رئيس أساقفة كانتربري والمارشال وليام بدعوة الإيرل حنا للذهاب إليهم بعد نجاحهم في تنظيم أمور المملكة أثناء غياب الإيرل حنا في الجنوب[4].

وصل الإيرل حنا إلى إنجلترا في 23 مايو عام 1199م وفي اليوم الخامس من وصوله تم تتويجه في كنيسة ويست منستر ملكا على المملكة، حيث قام بالقسم على الحفاظ على سلامة الكنيسة وتطبيق القواعد وإقامة العدل في ربوع المملكة[5].

في نفس الوقت قامت إليانور بجولة شاملة في أراضيها في الجنوب حتى تحصل على ولاء الأتباع لابنها الملك حنا، ولوقف اعتداءات فيليب أوغسطس على مقاطعاتها، ففي 29 أبريل عام

---

(1) Roger of Hovedon, Annalls, Vol. 2, PP. 456 – 459.
Meade, Eleanor, P.P. 332 – 333. Alison, Eleanor, P. 314 – 315.

(2) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص459، 460.
Meade, Eleanor, P. 333. Alison, Eleanor, P. 314 – 315 – 316.

(3) Meade, Eleanor, PP. 334 – 335. Alison, Eleanor, PP. 315 – 316.

(4) Meade, Eleanor, P. 335.

(5) Roger of Hovedon, Annalls, Vol 2, P. 458.
Chronicle Florence of Worcester, P. 310.
روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص460.

1199م وصلت إليانور إلى لي مانس Le Mans وفي 4 مايو وصلت بواتييه، وبعد ذلك أسرعت إلى المنطقة الجنوبية الغربية، وفي اليوم الأول من شهر يوليو زارت بوردو(1).

خلال تلك الجولة أغدقت إليانور الهبات والعطايا على أتباعها فمنحت العديد من الهبات والامتيازات لرؤساء الأديرة، وأمراء القلاع الذين ساندوها، كما استمعت إلى شكاوى أتباعها وحاولت تنفيذ مطالبهم، كما منحت العديد من القومونات والبلدات الصغيرة العديد من الحريات التي ساعدتهم على التخلص من التزاماتهم لأسيادهم المحليين.

تفقدت إليانور حوالي ألف ميل من أراضيها في الجولة التي قامت بها في منتصف شهر مايو عام 1199م، لكن الجزء الأصعب من مهمتها لم يأت بعد(2)، ففي شهر يوليو عام 1199م، قدمت إليانور ولاءها إلى الملك الفرنسي فيليب أوغسطس وأعلنت تبعيتها له عن الأراضي الخاصة بها في الجنوب، وكان ذلك التصرف بمثابة انفصال إليانور ودوقيتها عن النزاع الذي كان مستمرا بين البلانتاجنت وآل كابيه، كما أن هذا التصرف منع الملك حنا من أي ادعاء له في أراضي والدته وفي نفس الوقت منع الملك فيليب والدوق آرثر من القيام بأي هجوم ضد هذا الجزء من أراضي البلانتاجنت.

ذكرت السجلات التاريخية معلومات قليلة عن اللقاء الذي تم بين إليانور وفيليب أوغسطس الذي لم يستطع أن يعارض حقها في تلك الأراضي الواسعة(3).

التحقت إليانور بإبنها حنا في روين Rouen في سبتمبر 1199م وذلك من أجل إقناعه بعقد تحالف بين البلانتاجنت وآل كابيه عن طريق تزويج الأمير لويس ابن الملك فيليب إلى إحدى بنات الملك الفونسو الثامن ملك قشتالة وزوج إليانور الإبنة الصغرى للملكة إليانور.

رأت إليانور أن تلك الزيجة من شأنها الحد من الصراع بين آل كابيه والبلانتاجنت وإقامة سلام دائم بين المملكتين، لكن انضمام جوانا Joanna ابنة الملكة إليانور إليها في روين أدى إلى تأجيل ذلك المشروع الدبلوماسي(4).

كانت جوانا قد تزوجت بعد وفاة زوجها السابق ملك صقلية من الدوق ريموند السادس Raymond VI دوق تولوز، والذي أساء معاملتها وتركها تعاني من اندلاع ثورة ضده في مقاطعة تولوز ومن خيانة بعض أتباعه لها الذي قام أثناء تلك الثورة وأثناء محاصرة جوانا لقلعة كاس Casses بإمداد تلك القلعة بالإمدادات وإشعال النيران في معسكر جوانا مما اضطرها إلى الهروب والاتجاه إلى روين، وعندما وصلتها كانت تعاني من المرض والتعب الشديد فقامت إليانور بوضعها في دير فونتفريولت للتعافي، لكن جوانا قررت الانضمام إلى الدير كراهبة، ورغم أ، ذلك كان ممنوعا ومحرما خاصة وأن جوانا كانت حامل إلا أن إليانور دعمت رغبة ابنتها وساعدتها في الالتحاق بالدير، ولم تمكث جوانا في الدير طويلا فقد توفيت بعد إنضمامها إليه بيومين، وقد حزنت إليانور بشدة على وفاة إبنتها فلم يبق من أبنائها وبناتها العشرة سوى إثنان هما الملك حنا وإليانور الإبنة الصغرى ملكة قشتالة(5).

---

(1) Richard, Histoire des comtes de poitou, Vol 2, P. 353.
(2) Meade, Eleanor, PP. 336 – 337 Alison, Eleanor, PP. 316 – 317.
(3) Richard, Histoire des comtes de poitou, Vol, 2, P. 353.
(4) Meade, Eleanor, PP. 337 -
(5) Meade, Eleanor, PP. 337 – 338.
Alison, Eleanor, PP. 317 – 321. Dismond, Eleanor, P. 203.

نجحت إليانور في إقناع الملك حنا بإتمام الزواج مع فيليب أوغسطس والذي من شأنه أن يوقف مخططات فيليب في الإغارة على أراضي البلانتاجنت، وفي 22 مايو 1200م تم عقد معاهدة بين الطرفين، وقد نصت المعاهدة على قيام الملك حنا بدفع مبلغ ثلاثين ألف مارك وإعلان التبعية للملك الفرنسي سيده الأعلى فيما يخص أملاكه جنوب القنال الإنجليزي، وفي مقابل ذلك يقوم الملك الفرنسي بالموافقة على إتمام زواج ولده الأمير لويس من إبنة أخت الملك الإنجليزي وفي المقابل يمنح الأمير بعض الأراضي في بري Berry وأوفيرن Auvergne وبعض القلاع الصغيرة في نورمنديا وجاسكوني كهبة من الملك الإنجليزي، فضلا عن تعهد الملك الفرنسي بعدم المطالبة بكل حقوق آرثر كونت بريتاني في العرش الإنجليزي(1).

بعد توقيع المعاهدة حزمت إليانور أمتعتها وانطلقت بأقصى سرعة إلى أسبانيا لإحضار حفيدتها عروس الأمير لويس.

اتخذت إليانور طريقها جنوبا إلى بواتييه وبعد ذلك سارت أسفل الطريق الرئيسي نحو بوردو، وعندما دخلت أراضي عائلة آل لورجنان تلك العائلة المشاكسة العنيدة التي حاولت اختطاف إليانور منذ ثلاثين عاما، وها هو التاريخ يعيد نفسه فعند مرور إليانور بأراضيهم تم اختطافها من قبل هيو لي بران Hugh Le Brun الذي لم يكن لديه النية للاحتفاظ بالملكة مدة طويلة، فقد أراد هيو لي بران الاستيلاء على مقاطعة لي مارش Lemarche مقابل إطلاق سراح الملكة إليانور(2).

رأت إليانور أنه لا جدوى من الجدال والنقاش مع هيو لي بران لذلك قررت التنازل عن تلك المقاطعة مقابل الحصول على حريتها وخلال ساعات عادت إليانور إلى الطريق مرة أخرى حيث حثت مرافقيها على الانطلاق بأقصى سرعة حتى استطاعت الوصول إلى قشتالة قبل نهاية شهر يناير عام 1200م.

رأت الملكة إليانور إبنتها إليانور الصغرى للمرة الأولى منذ زواجها من الفونسو الثامن، والتي أصبحت الآن في الثامنة والثلاثين من عمرها.

أبدت إليانور إعجابها الشديد ببلاط الملك الفونسو الثامن الذي كان يشبه بلاطها في بواتييه، حيث ضم العديد من الشعراء الجائلين الذين تجمعوا في محكمة الفونسو الثامن وغنوا لإليانور زوجته التي كانت راعية للشعراء المتجولين مثل والدتها.

بقيت إليانور في رفقة إبنتها لمدة شهرين وعندما حانت اللحظة الأخيرة للرحيل، جمعت الملك إليانور حفيداتها الثلاث واللائي كن في سن الزواج والكبرى وتدعى برينجاريا Berengaria قد تم خطبتها إلى وريث ليون Leon أما الإبنة الثانية وتدعى أوراكا Urraca وهي التي اختارها والدها الملك الفونسو الثامن لتكون زوجة للأمير لويس كابيه، لكن الملكة إليانور لفت نظرها الإبنة الصغرى التي كانت تدعى بلانش Blanche التي كانت تشبه جدتها في الذكاء والنشاط والحيوية، لذلك قررت إليانور اختيارها بدلا من شقيقتها أوراكا لتكون عروسا للأمير لويس، وحتى تبرر إليانور اختيارها لبلانش ولا

(1) Roger of Hovedon, Annalls, Vol 2, PP. 436 – 464 – 472 – 480 – 481 .
Alison, Eleanor, P. 323.
Meade, Eleanor, P. 338 – 339 – Dismond, Eleanor, P. 228.
رالف اوف دسيتو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، سهيل زكار، ج30، ص655، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص466.

(2) Roger of Hovedon, Annalls, Vol 2, P. 472.
Meade, Eleanor, 339, Dismond, Eleanor, P. 233.
Alison, Eleanor, PP. 323 – 324.

تسبب أي أذى لأختها أوراكا، أعلنت إليانور أن اسم أوراكا اسم اسباني وهو صعب المنطق بألسنة الفرنسيين بخلاف اسم بلانش الذي كان معتادا لدى الفرنسيين، وبذلك استطاعت إليانور تقديم أعذار دبلوماسية لاختيارها لبلانش بدلا من أوراكا[1].

بدأت إليانور رحلتها مع حفيدتها بلانش في إتجاه إنجلترا حيث شقا طريقهما خلال جبال البرانس Pyrenees التي ازدحمت بالحجاج المتجهين إلى كومبوستيلا.

وصلت الملكة إليانور وحفيدتها إلى بوردو حيث مكثوا في قصر أومبرير عدة أيام للراحة، وهناك تذكرت أيام شبابها وحفل زفافها إلى الملك لويس السابع.

بعد الرحلة الشاقة التي قامت بها إليانور إلى مملكة قشتالة بدأت تشعر بالإرهاق والتعب، ورغم ذلك شاركت في أعياد الفصح[2] واستقبلت أتباعها المخلصين، لكنها لم تستطع البقاء مدة أطول في مقاطعة بوردو، حيث شعرت بالتعب والضعف نتيجة لطول رحلتها، ولذلك عادت إلى دير فونتفريولت، وظلت هناك، بينما بقيت بلانش مع رئيس أساقفة بوردو الذي سافر معها إلى نورمنديا، ثم سلمها إلى خالها الملك حنا وفي 23 مايو عام 1200م تزوجت بلانش من الأمير لويس في نورمنديا[3]، فلم يكن من الممكن أن تتزوج بلانش في بلدها الجديدة في مملكة فرنسا لأنها كانت واقعة تحت التحريم الكنسي بسبب الآثام التي ارتكبها فيليب أوغسطس مع عشيقته[4].

عاشت إليانور في دير فونتفريولت تعاني في غرفتها من المرض، ورغم أن المؤرخين لم يحددوا طبيعة مرضها، إلا أنه وفي عمرها الذي ناهز الثمانين لاشك أنها كانت تعاني من أمراض

---

(1) Meade, Eleanor, PP. 339 – 340 . Dismond, Eleanor, PP. 233 – 234.
Alison, Eleanor, P. 324.

(2) Meade, Eleanor, P. 340 – Dismond, Eleanor, P. 234. Alison, Eleanor, PP.324 – 345.

(3) Roger of Hovedon, Annalls, Vol 2, P. 480.
روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص467.
Dismond, Eleanor, P. 234 – Alison, Eleanor, P. 325 – 326.
Chronicle Florence of Worcester, P. 310.

(4) ترجع جذور الخلاف بين البابوية ومملكة فرنسا إلى عام 1193م بعد ما ماتت الملكة اليزابيث دي هانوه بثلاثة أعوام، عندما تزوج الملك فيليب من انجبورج Ingeburge أخت الملك كينوت السادس Kenut VI ملك الدانمارك، راغبا في استخدام قوى الأسطول الدنماركي في صراعه ضد مملكة إنجلترا، وعندما رفض الملك الدنماركي هذا طالبه الملك فيليب بمبلغ عشرة آلاف مارك من الفضة كصداق لهذا الزواج، وعلى ما يبدو أن الملك فيليب نفر منها منذ الاحتفال بالزواج، فجمع إليه بارونات وأساقفة المملكة وحصل منهم على موافقة كتابية على الطلاق بسبب درجة قرابة بعيدة تربطها باليزابيث دي هانوه، فاستنجدت انجبور بالبابوية في روما، وما لبثت البابوية أن استجابت لنداء كل من انجبورج والملك كينوت، ورفضت هذا لطلاق، ولم يستجب الملك فيليب لهذا القرار، بل قام بالدخول في علاقة غير شرعية مع امرأة ألمانية تدعى أحنيس اوف ميران Agnes of Meran وقرر الزواج بها، ولم يستطع البابا كلستين احتواء الموقف.
أما البابا أنوسنت الثالث فكان على العكس فأعلن انتصاره لانجبورج وألغى مرسوم الطلاق وأرغم فيليب على الانفصال عن محظيته أجنيس وإجباره على العودة إلى انجبورج، أما إذا رفض فيليب ذلك فسيتم وضع مملكته ضمن الأراضي المحرومة كنسيا، وقد أعلن البابا ذلك في 1198م على يد نائبه بطرس دي كابوه وأمام هذا الضغط ومع حلول عام 1200م أعلن الملك فيلب عودة أنجبورج التي تصرف معها بقسوة دون مراعاة للكنيسة المقدسة، لذا تم رفع الحرمان الكنسي عن المملكة في 8 سبتمبر 1200م/27 ذو القعدة 597هـ. =
= لمزيد من التفاصيل عن قصة انجبورج انظر:
Gestis Innocentii III Papae fragmentum, R.H.G.F., Tome XIX, PP 343 – 345.
Meade, Eleanor, P. 346.

الشيخوخة، هذا إضافة إلى أن الرحلة التي قامت بها إلى مملكة قشتالة قد استنفذت كل طاقتها، وسببت لها العديد من التعب والإرهاق.

شعرت إليانور للمرة الأولى بالارتياح فلم يعد لديها أي مخاوف حول مستقبل المملكة خاصة بعد أن تولى حنا عرش المملكة، واسترضت فيليب بتقديم الولاء له عن دوقية أكوتين وعن طريق المصاهرة التي تمت بين آل كابيه والبلانتاجنت تأكد السلام بين المملكتين قام الملك حنا بجولة شاملة في صيف 1200م في دوقية أكوتين، وذلك من أجل البحث عن عروس له[1]، خاصة بعد أن طلق زوجته إيزابيلا من جلوكستير Isabel, Countess of Gloucester بحجة أنها تمت إليه بصلة قرابة[2]، ثم بدأ بتحريض من والدته في التفكير فيمن سيخلفه على العرش، ولذا قرر الزواج مرة ثانية ورغم أنه كان قد خطب ابنة ملك البرتغال وأرسل سفارة من جانبه لمناقشة الأمر معه، إلا أنه في صيف 1202م وقع اختيار الملك حنا على فتاة أخرى، فخلال الجولة التي بها في الجنوب قام بزيارة إلى قلعة آل لوزجنان في يوليو عام 1200م الذين استولوا على مقاطعة لي مارش Lemarche من الملكة إليانور مقابل إطلاق سراحها، ورغم أن ذلك لم يحظ برضا الملك حنا إلا أنه لم يجد شيئا يفعله معهم.

أثناء حضور الملك حنا لإحدى المهرجانات التي اشتهر بها الجنوب، كان هناك الكونت إميري من أنجوليوم Aymer of Angouloume وهو عدو تقليدي لآل لوزجنان ومنافس خطير لهم في مقاطعة لي مارش، إلا أن الخلاف بينهم زال عندما خطب هيو لي بران إيزابيلا إبنة الكونت إميري[3].

لكن الملك حنا عندما رأى إيزابيلا أعجب بها وقرر الزواج منها متناسيا خطبته لإبنة ملك البرتغال ومتجاهلا بذلك خطبة إيزابيلا من هيو لي بران من لوزجنان Hugh le Brun of Lusignan طلب الملك حنا من الكونت إميري Ayler الزواج من إبنته فوافق على الفور، لكن ترتيبات الزواج تمت بسرية تامة لمنع إثارة آل لوزجنان، حيث رفع الكونت إميري إبنته إيزابيلا من عائلة خطيبها هيو لي بران وقام بإرسالها إلى أنجوليوم[4]، أما الملك حنا فرحل إلى بوردو وفي 23 أغسطس عام 1200م وصل إلى أنجوليوم حيث تم الاحتفال بزواجهما هناك في 24 أغسطس بواسطة رئيس أساقفة بوردو، وقبل أن تصل أخبار الزواج إلى آل لوزجنان أخذ الملك حنا حذره فأسرع متجها إلى قلعة شينون الآمنة[5].

ذكر المؤرخون أن تلك الزيجة عادت بالعديد من المشاكل على الملك حنا ورغم أنه استشار والدته إليانور وأخذ بنصيحتها وحصل على موافقتها على ذلك، لكن موقف إليانور لم يتم تسجيله، فربما تكون قد أساءت قياس الأخطار العائدة من تلك الزيجة، كما أنه من المحتمل أن تكون رغبة

(1) Meade, Eleanor, P. 341.
(2) Alan, H., England in the thirteen the century London, 1997, P. 265, Dismond, Eleanor, P. 235.
رالف اوف دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص654.
(3) Meade, Eleanor, P. 342. Dismond, Eleanor, P. 235.
Alison, Eleanor, P. 327.
(4) Roger of Hovedon, Annalls, Vol, 2, P. 483.
Owen, Eleanor, P. 98, Alison, Eleanor, P. 327.
(5) Meade, Eleanor, PP. 342 – 343.
Dismond, Eleanor, PP. 234 – 235. Alison, Eleanor, P. 328.

إليانور في الانتقام من هيو لي بران الذي اختطفها أثناء رحلتها إلى قشتالة قد دفعها إلى الموافقة على تلك الزيجة.

على أية حال فقد زار الملك حنا وزوجته إيزابيلا الملك إليانور في دير فونتفريولت في خريف عام 1200م، وكدليل على موافقتها على الزواج منحت إليانور إيزابيلا مدينتي نورت Niort وسانس Suintes[1].

ذهب الزوجان إلى إنجلترا في أكتوبر عام 1200م حيث تم تتويجهما سويا في كنيسة ويست منستر، وهناك كان سهلا عليهما ألا يتذكرا آل لوزجنان، حيث قام بجولة شاملة في كافة أنحاء المملكة في منتصف شهر مارس عام 1201م وظل الملك حنا وإيزابيلا في إنجلترا وبحلول عيد الفصح قاما بزيارة كنيسة كانتربري حيث لبسا تاجيهما هناك[2].

بعد زواج الملك حنا وإيزابيلا، ترقبت إليانور إندلاع الثورات والمشاكل في الجنوب، وإحدى المناطق التي توقعت إليانور وجود اضطرابات فيها كانت مقاطعة بواتييه ورغم أن آل لوزجنان لم يرغبوا في القيام بأي عمل انتقامي على أمل أن يعوضهم الملك حنا عن خسارتهم، لكن حنا لم يكن لديه نية القيام بأي عمل لإرضائهم[3]، مما أدى إلى ثورة هيو لي بران Hugh Le Brun ضد الملك حنا، حيث أراد أن يغزو أجزاء من أراضيه فعبر الملك حنا القنال وقام بإخضاع هيو لي بران الذي استنجد ضده بالملك فيليب أوغسطس.

شعرت إليانور بالقلق بعد معرفتها بالمؤامرات والثورة الوشيكة الاندلاع في الجنوب، لذا أرسلت في طلب حضور الفيكونت إميري من ثوارس Aimaury of Thouars وهو قريب لها وأحد أقوى بارونات بواتييه، وكان قد انضم إليها وساعدها في هجومها على أنجري بعد مقتل الملك ريتشارد، وقد عينه الملك حنا بناء على نصيحة والدته إليانور مندوبا له في أنجوومين[4]، ولكن بعد زوال الخطر عن هاتين المقاطعتين تم إبعاد الفيكونت إميري عن وظيفته، لكن نتيجة لخوف إليانور من اندلاع الثورة في بواتييه، أسرعت لمعالجة هذه الحماقة وعملت على إعادة ربط الفيكونت بجانبها مرة أخرى. انظر الوثيقة رقم (6).

بعد ذلك أرسلت رسالة إلى إبنها الملك حنا تخبره فيها بنجاحها في كسب ولاء الفيكونت إميري وأنه لن يستولى على أي من أراضي الملك، كما أنه سيعمل على إعادة القلاع والأراضي من البارونات المتمردين الذين استولوا عليها. انظر الوثقة رقم (7).

أرسلت إليانور والفيكونت إميري يحذران الملك حنا من الثورة الوشيكة الاندلاع في الجنوب، لكن الملك حنا تجاهل تحذيراتهم له فقد اعتقد أن تخوفات والدته إليانور لا أساس لها من الصحة ورغم أن هيو لي بران ورالف أخاه قد أعلنا ولاءهما للملك فيليب واستنجدا به ضد هجوم الملك حنا على أراضيهما[5] إلا أن الملك فيليب عالج المشكلة بشكل جذري وأقنع

(1) Meade, Eleanor, PP. 342 – 343. Dismond, Eleanor, P. 235.
(2) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج39، ص474-475،
Meade, Eleanor, P. 344 – Alison, Eleanor, P. 329.
رالف اوف كوغشال: ضمن الموسوعة التاريخية، ترجمة سهل ذكار، ج30، ص657.
(3) Meade, Eleanor, P. 344. Alison, Eleanor, P. 329.
(4) Meade, Eleanor, P. 344 – Alison, Eleanor, P. 330. Dismond, Eleanor, P. 237.
(5) Meade, Eleanor, PP. 344 – 345. Dismond, Eleanor, P. 237
Owen, Eleanor, P. 98. Alison, Eleanor, P. 330.

آل لوزجنان بعدم القيام بأي هجوم ضد الملك حنا ومناقشة المشكلة معه قبل إعلان الثورة عليه[1].

وفي بداية عام 1201م قام الملك حنا والملكة إيزابيلا بزيارة رسمية إلى مدينة باريس، حيث تمتعا في قصر سيتي بحسن ضيافة الملك فيليب لهما، ووسط جو من المرح والتفاهم ناقش الملك فيليب مع الملك حنا مشكلة آل لوزجنان ووافق فيليب على عدم مساعدتهم في تمردهم مقابل أن يسمح الملك حنا بعرض مشكلتهم في محكمة رسمية والوصول معهم إلى تسوية سلمية[2]، لكن الملك حنا تجاهل وعده للملك فيليب الذي قام بعرض الأمر على المحكمة الفرنسية والتي ما لبثت أن استدعت ملك إنجلترا للمثول أمامها باعتباره كونتا لأكوتين وأنجو ونورمنديا فضلا عن كونه فصلا للملك فيليب وكان عليه الخضوع لحكمهم والإجابة على كل ما يوجه إليه من تساؤلات ويتعامل مع القانون حسبما يقرر رفاقه في المراتب الإقطاعية. إلا أن رده جاء عنيفا، فذكر حنا أنه كدوق لنورمنديا فإنه ليس مرغما بأي حال من الأحوال على الحضور إلى البلاط الفرنسي من أجل المثول أمام المحكمة، وإن كان حتميا اللقاء مع الملك الفرنسي فليكن من أجل الحديث عن الحدود بين مملكة فرنسا ودوقية نورمنديا لأن هذا متفق عليه بين الدوق والملك منذ زمن بعيد[3].

بعد رفض الملك حنا حضور المحكمة التي عقدها الملك فيليب في باريس حكم البارونات الفرنسيون المجتمعون في تلك المحكمة بحرمان الملك حنا من كل الأراضي التي امتلكها ملوك إنجلترا منذ أجداده من ملوك فرنسا لأنهم لم يقوموا بتقديم أي خدمات في مقابل ذلك منذ زمن بعيد بل أنهم رفضوا الطاعة مرارا وتكرارا، وقد فرح الملك الفرنسي بالحكم الذي صدر في بلاطه وأعلن تأييده له[4].

وتنفيذا لقرارات المحكمة قام الملك فيليب بجمع جيش كبير واتجه به صوب أملاك الملك الإنجليزي، ودخل أراضي دوقية نورمنديا وكانت قلعة بوتفانت Boutevant التي بناها الملك ريتشارد من قبل على حدود الدوقية مع مملكة فرنسا أولى القلاع التي اجتاحها الجيش الفرنسي وسواها بالأرض، بالإضافة إلى مجموعة من القلاع الصغيرة.

تحالف الملك فيليب أغسطس والدوق آرثر ضد الملك حنا وتصدي إليانور لهما :

في تلك الأثناء بلغ الدوق آرثر السادسة عشر من عمره فتم الاحتفال بترسيمه فارسا من قبل الملك الفرنسي فيليب أوغسطس في مدينة باريس واحتفل بخطبته إلى إبنته وبناء على نصيحة صهره قام الدوق آرثر بإعلان الثورة على عمه، فقام بإثارة مائتين وخمسين فارسا بالإضافة إلى هيو لي بران وجيفري أوف لوزجنان وهم ممن أعلنوا الثورة على الملك حنا، واتجه بهم إلى دوقية بواتييه للاستيلاء عليها[5].

(1) Roger of Hovedon, Annalls, vol. 2, P. 520.
(2) Meade, Eleanor, P. 345.
Dismond, Eleanor, P. 241. Alison, Eleanor, PP. 331 – 332.
(3) Ruger of Hovedon, Annalls, Vol 2, P. 250.
Dismond, Eleanor, P. 241 – Alison, Eleanor, P. 332.
(4) Meade, Eleanor, P. 347 – Owen, Eleanor, P. 98.
Dismond, Eleanor, P. 241 – Alison, Eleanor, P. 332.
(5) Meade, Eleanor, P. 347. Dismond, Eleanor, P. 242. Owen, Eleanor, P. 98.Alison, Eleanor, P. 332.

سمعت الملكة إليانور أثناء إقامتها في دير فونتفريولت عن هذه الأحداث واستاءت كثيرا من ترتيب الملك فيليب وتعديه على مقاطعتها، لذلك قررت ترك الدير والتصدي لفيليب أوغسطس ورغم أنها كانت في الثمانين من عمرها، لكن كرامتها وغضبها لم يسمحا لها بالبقاء في سريرها فبعد أن مزق فيليب أوغسطس إمبراطورية البلانتجنت، لا شك أنه سوف يستولى يوما ما على أنجوومين، لكن الإذلال الوحيد الذي لن تقبله إليانور هو أن تسمح له بالاستيلاء على دوقية أكوتين طالما بقيت على قيد الحياة، لذلك غادرت إليانور الدير مصحوبة ببعض المرافقين فقد اعتقدت أن وجودها هناك بين أتباعها أمر من شأنه أن يقوي عزيمتهم ومقاومتهم ضد هجوم آرثر، ورغم الحالة الصحية الضعيفة لها التي اضطرتها إلى السفر ببطء إلا أنه استطاعت الوصول إلى بواتييه في الأسبوع الأخير من شهر يوليو عام 1202م، حيث مكثت في قلعة ميرابو Mirebeau التي تقع على الحدود بين أنجو ومين[1].

علم الدوق آرثر وقواته أثناء توجههم إلى بواتييه بتواجد الملكة إليانور في قلعة ميرابو ومعها حامية صغيرة، فاتفق الجميع على محاصرة تلك القلعة وأسر الملكة، وصدق حدثهم حيث كانت القلعة أضعف من أن تقاومهم، فاستسلمت لهم ما عدا البرج الذي احتمت فيه إليانور وحرسها الخاص، وذلك في 31 يوليو 1202م/8 ذو القعدة 598هـ[2].

وأمام تصاعد الأحداث في قلعة ميرابو ما لبثت الملكة إليانور أن استغاثت بإبنها الملك حنا، الذي هب مسرع لنجدتها مع قطاع كبير من جيشه، وانضم إليه وليام لارونس Willam des Roches مندوب أمير أنجو الذي انضم إلى قوات الملك حنا بشرط ألا يموت آرثر أو أحد من لثوار وأن يعامل الملك حنا آرثر وقواته معاملة حسنة.

وافق الملك حنا على شروطه، في الوقت الذي دخل فيه آرثر وقواته القلعة ولم يستطع الاستيلاء على البرج، فقام أولا بإغلاق كل أبواب المدينة ما عدا باب واحد انتظارا لقدوم الملك الإنجليزي، الذي وصل إلى القلعة في الأول من أغسطس من العام نفسه، وقد اشتبك الطرفان في قتال عنيف عند باب القلعة انتهى بانتصار الملك حنا وأسر الدوق آرثر وقواته[3].

أما الملك فيليب فقد انتهز فرصة إنشغال الملك حنا بمحاولة إنقاذ أمه الملكة إليانور، وقام بفرض الحصار على قلعة أركيوس Arques إلا أن حامية المدينة قاومته ببسالة، ونجحت في إجباره على الانسحاب، خاصة بعدما وصلته أخبار أسر آرثر وقواته، فعاد غاضبا من سوء الحظ الذي حل بحلفائه، وعرج إلى إقليم اللوار وقام بحرق كل شئ في طريقه حتى الأديرة ومن هناك اتجه صوب مدينة تور التي تدخل ضمن أملاكه، وما لبث أن تركها وعاد إلى مدينة باريس[4].

---

(1) Meade, Eleanor, PP. 347 – 348. Alison, Eleanor, P. 333. Dismond, Eleanor, P. 242. Owen, Eleanor, P. 99.

(2) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص515.
Meade, Eleanor, P. 348. Dismond, Eleanor, P. 243.
Owen, Eleanor, P. 99. Alison, Eleanor, P. 333.

(3) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص516، رالف اوف كوغشال، ضمن الموسوعة التاريخية، ترجمة سهيل ذكار، ج30، ص670-671.
Chronicle Florence of Worcester, P. 311.
Meade, Eleanor, PP. 348 - 349. Dismond, Eleanor, PP. 243 - 244.
Owen, Eleanor, P. 100. Alison, Eleanor, P. 333 - 334.

(4) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص517.
Alison, Eleanor, P. 336 – 337.

قام الملك حنا بإرسال أسراه المقيدين إلى نورمنديا والبعض الآخر إلى إنجلترا حيث تم سجنهم في القلاع القوية، أما الدوق آرثر فتم سجنه في قلعة فالي Falais[1] في العاشر من أغسطس عام 1202م.

أثار سجن الملك حنا للدوق آرثر غضب وليام لاروش وإميري من ثوارس، اللذان تقدما له برجاء تسليم الدوق آرثر لهما إلا أنه رفض طلبهما، كما أن رؤيتهم لأقربائهم وأصدقائهم الأسرى وهم مقيدون في السلاسل أثار اشمئزازهم من الملك حنا وجعلهم يعلنون الثورة عليه، وقد انضم إليهم عدد كبير ممن لم يرضوا عن سياسته وكان الملك حنا ينوي التخلص منهم لأنه ضاق ذرعا بتدخلهم وحاول القضاء عليهم لكنهم فروا هاربين[2].

فطبقا لروجر من ويندوفر فقد زار الملك حنا قلعة فالي في يناير عام 1203م من أجل التفاوض مع ابن أخيه حيث طلب منه التخلي عن الملك فيليب والالتزام بالطاعة للملك حنا، لكن الدوق آرثر رفض ورد عليه بامتعاض بأنه يحب أن يمنحه إنجلترا وكل الأراضي التي امتلكها بموت الملك ريتشارد، حيث إنها حقه الشرعي، وقد أقسم آرثر إذا لم يعيد الملك حنا إليه تلك الأراضي فإنه لن يجعله ينعم بلحظة سلام واحدة طوال حياته[3].

شعر الملك حنا بالقلق من ابن أخيه آرثر وأتباعه ولذلك وبناء على نصيحة مستشاريه الذين أقنعوه بأنه من غير الممكن تحقيق أي سلام دائم ما دام آرثر حيا فاقترحوا عليه التخلص منه بسمل عينيه وخصيه[4].

أمر الملك حنا ثلاثة من فرسانه، بالذهاب إلى قلعة فالي من أجل تنفيذ مخططه، غير أن إثنين منهم رفضا تنفيذ هذا الأمر، أما الثالث فاستجاب لأوامر سيده وذهب إلى هيوبرت دي بورج Huberf de Burgh الذي ما لبث أن حزن حزنا شديدا عند سماعه تلك الأوامر، وتعاطف بشدة مع الدوق آرثر، واستطاع أن ينقذ الشاب وأعلن بأن أمر الملك قد نفذ، وأن الدوق آرثر قد مات متأثرا بما حدث له معتمدا في ذلك على عفو الملك حنا ومعتقدا بأنه سيندم على إصداره هذا الأمر، اعتقادا منه بأن الأمر جاء نتيجة غضب مفاجئ، غير أن البريتانيين لدى سماعهم بوفاة دوقهم، ازدادوا غضبا أكثر مما كانوا وأقسموا على محاربة الملك الإنجليزي الذي اقترف مثل هذا الفعل الشنيع في حق سيدهم واستدعى هذا بالضرورة الإعلان بأن آرثر الذي شاع في كل مكان بأنه مات لا يزال حيا، ولم يصدق البريتانيون هذا الخبر إلا بعد خمسة عشر يوما وهدأ غضبهم قليلا وعندما أخبر بما حدث لم يغضب إلا لبعض الوقت لأن أوامره لم تنفذ[5].

Meade, Eleanor, P. 351. Dismond, Eleanor, P. 245 – 246.

(1) فالي: مدينة فرنسية تقع على نهر أنت Ante جنوب شرقي مدينة كين Caen وهي المدينة التي شهدت ميلاد وليام الفاتح. انظر:
Moore, Encyclopedia, P. 273

(2) رالف اوف كوغشال، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص671، 672.
Dismond, Eleanor, P. 245 – Alison, Eleanor, P. 334 – 336.

(3) أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص517
Alison, Eleanor, P. 336 – 337 – Meade Eleanor, P. 351.

(4) رالف اوف كوغشال، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص672.
Dismond, Eleanor, P. 246 – Alison, Eleanor, P. 337.

(5) رالف اوف كوغشال، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص372، 673.
Deade, Eleanor, P.337. Alison, Eleanor, P.337

في فبراير عام 1203م أصدر الملك حنا أوامر بنقل الدوق آرثر من سجنه في قلعة فالي إلى مدينة روين حيث تم إيداعه داخل قلعتها تحت حراسة أميرها روبرت دي فوكسبونت Vobert de Vievxpont وانقطعت بذلك أخباره، فما لبث الملك فيليب وحلفاؤه من البريتانيين والمؤيدين للدوق آرثر أن طالبوا الملك حنا بإطلاق سراح الدوق وتسليمه إليهم وأعدوا في مقابل ذلك عددا كبيرا من الرهائن بالإضافة إلى التهديدات القاسية، وجاء رد الملك حنا على ذلك بالرفض التام، مما دفع الملك فيليب إلى القيام بهجوم قوي على القلاع الواقعة على نهر اللوير، وكانت قلعة سومير Somerset أولى القلاع التي استولى عليها ثم تلتها جزيرة لاس اندلاس Las and Las مع قلعتها الحصينة وفي نفس الوقت قام وليام لاروش حليف الملك فيليب بهجوم على قلاع نيفورت Neofort وسير ستارت Sur charte ومين واستولى عليهم دون عناء[1].

أما على ضفاف نهر اللوار فاستطاع الملك فيليب الاستيلاء على قلعة فودرويل Vaudreuil التي كان يتمركز فيها للدفاع عنها عدد كبير من الفرسان الإنجليز ورغم هذا لم يستطع الفرسان الإنجليز التصدي للملك الفرنسي فقاموا بتسليم أنفسهم وقلعتهم له، مما دفع الملك فيليب للإغارة على مدينة روين، إلا أن قلعة جيلارد كانت تعترض طريقه فقرر الاستيلاء عليها، لذا قاد جيشه متجها ناحيتها، وفرض عليها حصارا مستغلا الحماس الذي انتشر بين أفراد جيشه وحلفائه، خاصة بعد انتشار خبر مقتل آرثر على يد الملك حنا في نهر مولينوه Moulineaux[2] عندما اصطحبه تحت جنح الظلام في مركبه وطعنه وألقى بجسده في النهر وذلك في 3 أبريل عام 1203م. وبعد فترة قام أحد الصيادين بانتشال جثمانه من النهر ودفنه في كنيسة بيك Bec[3] .

بدأ حصار الملك فيليب لقلعة جيلارد في أوائل شهر أكتوبر عام 1203م واستر حتى أوائل شهر مارس 1204م واستمرت المناوشات خلال مدة الحصار والتي كانت تزيد الجيش إصرارا بالإضافة إلى قيام الملك فيليب بتأمين جيشه وذلك بالاستيلاء على كل القلاع والجزر التي تؤمن له محاصرة القلعة الحصينة.

أما قلعة جيلارد فكان يدافع عنها مجموعة كبيرة من الفرسان الذين نجحوا في التصدي للقوات الفرنسية مدة طويلة، لكن نتيجة للإحباط الذي انتاب المحاصرين من عدم قيام الملك حنا الموجود في انجلترا بمد يد العون لهم بالإضافة إلى المعاناة التي لاقتها حامية المدينة من شدة الجوع، وقيام الجيش الفرنسي باستخدام سلاح المنجنيق في ضرب الأسوار، مما أدى في النهاية إلى سقوط القلعة في 6 مارس عام 1204م بعد حصار دام ستة أشهر، وأسر قائد القلعة ومعه أربعمائة فارس ونقلوا جميعا إلى باريس[4].

وفاة الملكة إليانور عام 1204م :

---

(1) رالف اوف كوغشال، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص674-675.

Meade, Eleanor, PP. 352 – 353, Alison, Eleanor, PP. 337 – 338. Chronicle Florence of Worcester, P. 311.

(2) نسبة إلى قرية مولينوه القريبة من مدينة روين.

(3) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص518، 519، 520.

Meade, Eleanor, P. 353 – 354.

Dismond, Eleanor, P. 246. Alison, Eleanor, P. 339.

(4) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص518، 519، 520، رالف او كوغشال، ضمن الموسوعة التاريخية، سهيل زكار، ج30، ص675.

Alison, Eleanor, P. 341.

وهكذا تعرضت مملكة إنجلترا لهزة عنيفة بسقوط قلعة جيلارد، التي حزنت الملكة إليانور على فقدانها حزنا شديدا، أدى إلى وفاتها في 21 مارس 1204م[1]، وقيل إنها توفيت في الأول من شهر أبريل 1204م.

وقد اختلف المؤرخون في المكان الذي توفيت فيه إليانور فقيل أنها ماتت في دير فونتفريولت وقول آخر أن وفاتها في مدينة بواتييه التي استقرت بها بعد إطلاق سراحها من قلعة ميرابو، وتم دفنها في كنيسة دير فونتفربولت بجانب زوجها الملك هنري الثاني وإبنها الملك ريتشارد قلب الأسد[2].

ومما سبق يتبين لنا الدور الذي لعبته إليانور في تتويج إبنها ريتشارد على عرش المملكة ثم نجاحها في إدارة شئون إنجلترا بعد رحيل إبنها ريتشارد في حملته الصليبية إلى الشرق وجهودها في حفظ التاج له من محاولات أخيه حنا الذي استغل غياب الملك ريتشارد وقام بعدة هجمات على أراضيه كما اتضحت أيضا الجهود التي بذلتها لإطلاق سراح الملك ريتشارد بعد تعرضه للأسر أثناء عودته من حملته الصليبية وقدرتها على توفير الفدية لإطلاق سراحه ثم الجهود التي بذلتها من أجل تتويج إبنها حنا على عرش المملكة بعد وفاة أخيه الملك ريتشارد ثم تصديها لهجمات آرثر إبن إبنها الراحل جيفري، والذي كان يطالب بحقه الشرعي في عرش المملكة وتحالفه مع الملك فيليب أغسطس ضد الملك حنا وهجومهما على ممتلكات إليانور في الجنوب. ونجاح إليانور في التصدي لهما وتعرضهما للأسر من جانب حفيدها آرثر ونجاح إبنها حنا في إطلاق سراحها ثم انسحابها إلى دير فونتفريولت واستقرارها به حتى وفاتها.

(1) The chronicle of Florence, P. 312.
(2) Meade, Eleanor, P. 355. Owen, Eleanor, P. 102.
Kelly, Eleanor, P. 387.
Ffiona, Eleanor,P. 53.